قادة فتح الشام

١ـ أسامة بن زيد بن حارثة[١].

٢ـ أبو عبيدة بن الجرّاح[٢].

٣ـ خالد بن الوليد المخزومي[٣].

٤ـ عكرمة بن أبي جهل المخزومي قائد فتح سورية.

٥ـ يزيد بن أبي سفيان الأموي قائد فتح لبنان.

٦ـ سفيان بن مجيب الأزدي (فتح لبنان).

٧ـ شرحبيل بن حسنة الكندي (قائد فتح الأردن).

٨ـ عمرو بن العاص السهمي[٤] (قائد فتح فلسطين).

٩ـ أبو أمامة الباهلي (فتح فلسطين).

١٠ـ أبو الأعور السلمي (فتح فلسطين).

١١ـ معاوية بن أبي سفيان الأموي (فتح فلسطين).

---

(١) سبقت الترجمة له.

(٢) سبقت الترجمة له.

(٣) سبقت الترجمة له.

(٤) سبقت الترجمة له.

(٤٢٣) القائد الشريف، الرئيس الشهيد قائد أحد الكراديس في اليرموك أبو عثمان القرشي المخزومي المكي عِكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه

هو الصحابي أبو عثمان عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرَّة بن كعب بن لؤي.

أبوه أبو الحكم عمرو بن هشام رأس الكفر والعداوة لله ولرسوله والمؤمنين. كنّاه رسول الله والمسلمون أبا جهل، فبقي عليه ونُسي اسمه وكنيته لعنه الله.

وأمه أم مجالد إحدى نساء بني هلال بن عامر.

كان عكرمة شديد العداوة لرسول الله في الجاهلية، ومن أشبه أباه فما ظلم، وكان فارسًا مشهورا حارب الرسول في بدر وأحد والخندق. وكان فارسًا مشهورًا.

وكان عكرمة ممن جمع ناسًا بالخندمة[١] ليقاتلوا المسلمين وليصدوهم عن فتح مكة، ولكن خالد بن الوليد قضى على مقاومتهم بسرعة خاطفة، ففرّ عكرمة إلى اليمن، لأنه كان من النفر الذين أباح رسول الله ﷺ دماءهم[٢].

- **إسلامه:**

أسلم بعد فتح مكة بقليل.

لما فتح رسول الله ﷺ مكة هرب منها ولحق باليمن، وكان رسول الله ﷺ لمّا سار إلى مكة أمر بقتل عكرمة ونفر معه. نفر إلى اليمن «فركب البحر فأصابهم

---

(١) الخندمة: اسم جبل بمكة.

(٢) أسد الغابة (٤/٦٧) ت (٣٧٤١)، والإصابة (٤/٤٤٣) ت (٥٦٥٤).

عاصف، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئا ها هنا. فقال عكرمة: إن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره. اللهم لك عليّ عهد إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدا حتى أضع يدي في يده، فلأجدنّه عفوًّا كريمًا. ثم جاء فأسلم.

وقيل: إن زوجته أم حكيم بنت عمه الحارث بن هشام، سارت إليه وهو باليمن بأمان رسول اللَّه ﷺ وكانت أسلمت قبله يوم الفتح، فردّته إلى رسول اللَّه ﷺ، فأسلم وحسن إسلامه.

وكان من صالحي المسلمين. واستعمله رسول اللَّه ﷺ على صدقات هوازن عام حج[١] فكان موضع ثقة النبي ﷺ.

قال ابن أبي مليكة: كان عكرمة إذا اجتهد في اليمين قال: لا والذي نجّاني يوم بدر[٢] قال ابن كثير: يُقال: أنه لا يُعرَف له ذنب بعدما أسلم[٣].

❑ **جهاده:**

قال الشافعي كان عكرمة محمود البلاء في الإسلام[٤] عقد أبو بكر الصديق أحد عشر لواء لقتال المرتدين منها لواء لعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة[٥].

أرسل الصديق عكرمة بن أبي جهل في عسكر إلى مسيلمة، وأتبعه شرحبيل بن حسنة، فعجل عكرمة ليذهب بصوتها، فواقعهم فنكبوه وأقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر، وكتب عكرمة إلى أبي بكر بالخبر، فكتب إليه أبو بكر «لا أرينَّك ولا تراني، لا ترجع فتوُهِن الناس، امض إلى حذيفة، وعرفجة فقاتل أهل عمان

(١) أسد الغابة (٤/٦٨).
(٢) السير (١/٣٢٣).
(٣) البداية والنهاية (٩/٦١١).
(٤) البداية والنهاية (٩/٦١١).
(٥) الكامل (٢/٢٠٨).

ومهرة، ثم تسير أنت وجندك تستبرئون الناس حتى تلقى المهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت[١] ولحق عكرمة حذيفة بن محصن الغلفاني، وعرفجة البارقي، قبَل عمان. فلما وصلوا رجاما ـ وهي قريب من عمان ـ كاتبوا جيفرا و عبادا، وجمع ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي كبير المرتدين جموعه، وعسكر بدبا، وخرج جيفر وعباد وعسكرا بصحار[٢]، وأرسلا إلى حذيفة وعكرمة وعرفجة في القدوم عليهما، فقدموا عليهما، ثم التقوا على دَبَا فاقتتلوا قتالا شديدًا، واستعلى لقيط، ورأى المسلمون الخلل، ورأى المشركون الظفر، فبينما هم كذلك جاءت المسلمين موادهم العظمى من بني ناجية وعليهم الخريت بن راشد، ومن عبدالقيس، وعليهم سيحان بن صوحان وغيرهم فقوّى اللّه المسلمين بهم ووهن بهم أهل الشرك، فولّى المشركون الأدبار، فقُتِل منهم في المعركة عشرة آلاف، وركبوهم حتى أثخنوا فيهم، وسبوا الدراري، وقسّموا الأموال وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر مع عرفجة، وأقام حذيفة بعمان حتى يوطئ الأمور ويسكن الناس.

وسار عكرمة إلى مهرة لما فرغ من عمان ومعه من استنصر من ناجية، وعبد القيس، وراسب وسعد، فاقتحم عليهم بلادهم، فوافق بها جمعيْن من مهرة أحدهما مع سخريت[٣] رجل منهم، والثاني مع المصبح أحد بني محارب ومعظم الناس معه، وكانا مختلفيْن، فكاتب عكرمة سخريتا فأجابه وأسلم، وكاتب المصبح يدعوه فلم يجب؛ فقاتله قتالا شديدًا أشد من قتال دَبَا فانهزم المرتدون وقُتِل رئيسهم، وركبهم المسلمون فقتلوا من شاؤوا منهم وأصابوا من شاؤوا من الغنائم، وبعث الأخماس إلى أبي بكر مع سخريت وازداد عكرمة وجنده قوة بالظهر والمتاع، وأقام عكرمة حتى اجتمع الناس على الذي يحب وبايعوا على الإسلام[٤].

(١) الكامل (٢/٢١٩).
(٢) صحار: هضبة عمان مما يلي الجبل، وكانت مدنية.
(٣) في الطبري: شخريت. وفي الإصابة شحريب.
(٤) الكامل (٢/٢٢٩- ٢٣٠).

وسار عكرمة من «مَهْرَة» إلى اليمن ومعه بشر كثير فأعاد النخع وحمير إلى الإسلام.

وسار عكرمة إلى (حضرموت) كما سار إليها المهاجر حتى اقتحماها، ثم سارا إلى كندة، فاستخلف المهاجر على الجند عكرمة، وتعجّل في سرعان الناس، فلما قدم عكرمة وجد المسلمين قد حاصروا كندة فاشتد الحصر على كندة، وتفرّقت السرايا في طلبهم، حتى استسلمت كِندة[١].

وعادت كندة وحضرموت إلى رحاب الإسلام. قال ابن الأثير عن عكرمة: «وله في قتال الردة أثر عظيم»[٢]، لقد بذل عكرمة في عمان ومهرة واليمن وحضرموت وكِندة جهودًا مُشَرِّفة كان من آثارها توطيد أركان الإسلام في هذه المناطق وإعادة وحدتها.

- عكرمة البطل في أرض الشام:

لما فرغ عكرمة من قتال أهل الردة سار إلى الشام مجاهدًا أيام أبي بكر مع جيوش المسلمين فلما عسكروا بالجُرْف على ميلينْ من المدينة، خرج أبو بكر يطوف في معسكرهم، فبصر بخباء عظيم حوله ثمانية أفراس ورماح وعده ظاهرة فانتهى إليه، فإذا بالخباء عكرمة، فسلّم عليه أبو بكر، وجزاه خيرًا، وعرض عليه المعونة، فقال: لا حاجة لي فيها، معي ألفا دينار. فدعا له بخير، فسار إلى الشام»[٣].

وخرج عكرمة غازيًا لأرض الشام فيمن كان معه من تهامة، وعمان، والبحرين، والسرو[٤].

ولما نُكب خالد بن سعيد بمرج الصفر وانهزم ووصل في هزيمته إلى ذي المروة

---

(١) الطبري (٢/٥٤٦).
(٢) أسد الغابة (٤/٦٩).
(٣) أسد الغابة (٤/٦٩).
(٤) الكامل (٢/٢٥٢- ٢٥٣).

قريب المدينة، فأمره أبو بكر بالمقام بها، بقي عكرمة في الناس ردءًا يمنع من يطلبهم[(١)].

● **يوم اليرموك يوم عكرمة البطل الذي يُبايع على الموت:**

لما اجتمعت جحافل الشرك باليرموك، واستعد المسلمون للقتال كان عكرمة رضي الله عنه على كردوس من الكراديس ومعه ستة آلاف رجل[(٢)] فأمر خالد عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو ـ وكانا على مجنّبتي القلب ـ فأنشبا القتال[(٣)]، فبدرا يرتجزان وَدَعَوَا إلى البراز، وتنازل الأبطال، وتجاولوا وحَمِيَ الحرب، وقامت على ساق، فلم يُر يوم مثل يوم اليرموك أكثر قَحْفًا[(٤)] ساقطًا، ومعصما نادرا[(٥)]، وكفًّا طائرة، وحمى الوطيس، واشتد القتال، وهنا تبرز شجاعة البطل المشتاق للشهادة وغفران الذنوب، السبّاق إلى الجنان.

«**قال عكرمة يومئذ ـ يعني يوم اليرموك:** قاتلتُ رسول الله ﷺ في كل مَوْطن، وأفرّ منكم اليوم. ثم نادى: مَن يبايعني على الموت؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربع مئة وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدّام فسطاط خالد حتى اثبتوا جميعًا جراحة وقُتِلوا إلا ضرار بن الأزور.

قال الزهري: إن عكرمة بن أبي جهل يومئذ كان أعظم الناس بلاءً، وأنه كان يركب الأسنة حتى جرحت صدره ووجهه، فقيل له: اتق الله، وارفُق بنفسك.

فقال: كنت أجاهد بنفسي عن اللات والعزّى، فابذلها لهان أفأستبقيها الآن عن الله ورسوله! لا والله أبدا. قالوا: فلم يزدد إلا إقدامًا حتى قُتِل رحمه الله

---

(١) الكامل (٢/٢٥٤).

(٢) الكامل (٢/٢٦٠)، والبداية والنهاية (٩/٥٥٧ـ ٥٥٨).

(٣) الطبري (٢/٥٩٢).

(٤) القحف: ما انفلق من الجمجمة فبان.

(٥) نادرًا: ساقطا.

تَعَالَى [١].

أتى خالد بعكرمة بن أبي جهل جريحًا فوضع رأسه على فخذه، وبعمرو بن عكرمة فجعل رأسه على ساقه، ومسح وجوههما، وقطر في حلوقهما الماء، وقال: زعم ابن حنتمة ـ يعني عمر ـ أنا لا نُستشهد»[٢].

قال أبو إسحاق السَّبيعيّ: نزل عكرمة يوم اليرموك، فقاتل قتالًا شديدًا، ثم استُشهد، فوجدوا به بضعًا وسبعين من طعنة ورمية وضربة[٣].

هكذا يُحسن الأبطال صناعة الموت، وهكذا يكون موت الرجال، فلا نامت أعين الجبناء.. هكذا يكون الشوق إلى الجنان.. وهكذا يتغلغل حب الشهادة في نفس التوّاق إلى الجنة فيبايع على الموت، وينيل موقفه وصنعه في يوم تندر فيه الرؤوس.

«ذكر الطبري أنه قُتل بأجنادين، وكذا قال الجمهور، حتى قال الواقدي: لا اختلاف بين أصحابنا في ذلك. وقال ابن إسحاق، والزبير بن بكار: قُتِل يوم اليرموك. وقيل قتل يوم مرج الصفر[٤]

❑ **تنبيه:**

ورد حديثان في فضل ومناقب عكرمة وهما لا يصحان مع ما لعكرمة مآثر وفضائل ومناقب.

الأول: عن عكرمة أن النبي ﷺ، قال له: مرحبًا بالراكب المهاجر، قال: فقلتُ يا رسول الله! والله لا أدع نفقة أنفقتها عليك، إلا أنفقت مثلها في سبيل الله[٥].

---

(١) أسد الغابة (٤/٦٩).

(٢) الكامل (٢/٢٦١). أنا لا نستشهد: يعني بني مخزوم، وكان منهم خالد، وكان لعكرمة رئاسة بني مخزوم بعد قتل أبيه أبي جهل.

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٣٢٤).

(٤) الإصابة (٤/٤٤٣).

(٥) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٧٣٦) في الاستئذان، باب: ما جاء في مرحبا، وقال: ليس إسناده بصحيح. وموسى بن مسعود ضعيف، والحاكم (٣/٢٤٢) وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: منقطع.

والثاني: عن أم سلمة زوج رسول اللَّه ﷺ قالت: قال رسول اللَّه «**رأيت لأبي جهل عِذْقًا في الجنة**» فلما أسلم عكرمة بن أبي جهل قال: يا أم سلمة، هذا هو»[(١)].

● **القائد:**

كان عكرمة فارسًا مشهورًا[(٢)] شجاعًا مقدامًا، أثبت شجاعته وإقدامه في كل معركة خاضها، كما كان قائدًا مجربًا حيث قاد كثيرًا من المعارك في الجاهلية والإسلام.

والظاهر أنه لم يكن قائدًا ناجحًا في معاركه الأولى، إذ لم يُظهر أي أثر بارز لقيادته في الجاهلية وفي حروب أهل الردّة ضد مسيلمة؛ ولكنه برز قائدًا لامعًا بعد فشله في معركته ضد بني حنيفة، إذ كان له أثر أي أثر في حروب أهل الردة الأخرى: في عُمان ومهرة واليمن وحضرموت وكندة، وفي أرض الشام أيضًا حين أصبح ردءًا للمسلمين، وفي معركة اليرموك الحاسمة بالذات.

ولست ألوم عكرمة في تسرعه لقتال أصحاب مسيلمة مما أدى إلى فشله، إذ أن تسرعه هذا كان من جراء حرصه الشديد على القضاء على فتنة مسيلمة بسرعة قبل أن يستفحل أمرها ويستشري خطرها؛ ومع ذلك فإن فشل عكرمة هذا أفاد المسلمين، إذ أدّى إلى استهانة مسيلمة بالمسلمين وأدى إلى غروره واعتقاده بأنه لا يغلب!! وهذا سهّل مهمة خالد بن الوليد في تحطيم بني حنيفة فيما بعد!! لأن الغرور ركبهم فلم يعدوا كافة متطلبات القتال.

لقد كان قائدًا عقائديًا يقاتل من أجل مبدأ يؤمن به، وكان في كل معاركه قائدًا: إذا لم يؤمّره مرجعه الأعلى أمّر هو نفسه بأفعاله المشرفة من شجاعة وإقدام

---

(١) ضعيف: أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٤٣/٣)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي وقال: لا فيه ضعيفان. وأورده المتقى الهندي في كنز العمال رقم (٣٣٦٢١)، (٣٧٤٢٠).

(٢) الاستيعاب (١٠٨٢/٣).

وتضحية بالمال والنفس.

إنه كان قائدًا له قابلية على إعطاء القرار السريع الصحيح، ذا إرادة قوية ثابتة وشخصية نافذة قوية وكان قائدًا تعرضيًا سريع الحركة والتنقل، وبذلك يباغت عدوه بالمكان والزمان.

❑ عكرمة في التاريخ:

- يذكر التاريخ لعكرمة جهاده المشرف في حروب أهل الردة خاصة في عمان ومهرة واليمن وحضرموت وكندة.
- ويذكر له موقفه الحازم في حماية انسحاب المسلمين بعد اندحارهم أمام الروم في معركة (مرج الصُفر)، مما حرم الروم من مطاردة المسلمين وتكبيدهم خسائر فادحة بالأرواح.
- ويذكر له بذله ماله وروحه في سبيل عقيدته، وكأنه بذلك أراد أن يكفّر عن ذنوبه الماضية على الرغم من أن الإسلام يَجُبّ ما قبله.
- إن صرخته في أحرج ساعات (اليرموك): «**من يبايعني على الموت**» وتضحيته وتضحية أكثر رجاله بأرواحهم لإحراز النصر، كان له أكبر الأثر في انتصار المسلمين على الروم في معركة (اليرموك) الحاسمة، تلك المعركة التي فتحت أبواب أرض الشام للفاتحين من العرب المسلمين.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ المجاهد الصادق، الصحابي الجليل، القائد الشهيد عكرمة بن أبي جهل المخزومي(١).

❊ ❊ ❊

---

(١) قادة فتح الشام ومصر ص (٩٤، ٩٥).

(٤٢٤) القائد الفاتح الشهيد يزيد الخير يزيد بن أبي سفيان الأموي رضي الله عنه قائد أحد جيوش الشام، وقائد الميسرة في معركة اليرموك وفاتح لبنان[١].

هو الصحابي الجليل أبو خالد يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أخو معاوية لأبيه، وهو أخو أم المؤمنين حبيبة، ويُقال له: يزيد الخير.

وأمه: أم الحكم، زينب بنت نوفل بن خلف من بني حلّاس، ثم من بني كنانة.

وأخواه لأمه: عمرو بن أمية، وكثنة بنت أمية بن أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس.

وكان أفضل بني أبي سفيان. وكان من فضلاء الصحابة.

- **إسلامه:**

أسلم يزيد يوم فتح مكة، وشهد مع رسول اللَّه ﷺ حُنَينا، وأعطاه رسول اللَّه ﷺ من غنائم حُنين مئة من الإبل، وأربعين أوقيّة فضة ولم يزل يُذكر بخير، واستعمله النبي ﷺ على صدقات بني فراس، وكانوا أخواله. استعمله رسول اللَّه ﷺ على (تيماء)[٢]، وكان أحد من كتب للنبي ﷺ[٣].

---

(١) انظر طبقات ابن سعد (٢٨٤/٧) ت (٣٧١٧)، وأسد الغابة (٤٥٦/٥) ت (٥٥٥٧)، وتاريخ دمشق (٢٣٩/٦٥) ت (٨٢٩٢)، والإصابة (١٥٦/٦) ت (٩٢٨٥)، والسير (٣٩٨/١).

(٢) تيماء: بُليدة في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق. انظر حول تولية يزيد تيماء ص (٢٣) من جوامع السيرة لابن حزم.

(٣) جوامع السيرة لابن حزم ص (٢٦)، والسيرة الحلبية (٣٦٤/٣).

- **جهاده:**

كان ﷺ من العقلاء الألبّاء، والشجعان المذكورين، شهد حنينًا، وهو أحد الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم، عقد له أبو بكر، ومشى معه تحت ركابه يسايره، ويودِّعه، ويوصيه، وما ذاك إلا لشرفه وكمال دينه[١].

قال مصعب بن عبدالله : ولّاه أبو بكر الصديق رُبع أجناد الشام، ولما عزل أبو بكر خالد بن سعيد بن العاص، وليّ يزيد بن أبي سفيان جنده، ودفع لواءه إلى يزيد.

عقد له أبو بكر ﷺ مع أمراء الجيوش إلى الشام وقال: «إن اجتمعتم في كيد فيزيد على الناس، وإن تفرّقتم فمن كانت الوقعة ممّا يلي عسكره فهو على أصحابه، وشيّعه أبو بكر الصديق راجلا وقال: إني أحتسب خُطاي هذه في سبيل اللَّه وجعل أبو بكر يوصيه[٢].

قال له: يا يزيد، إنك شاب، تُذكر بخير، قد رُئِيَ منك، وذلك شيء خلوت به في نفسك، وقد أردت أن أبلوك وأستخرجك من أهلك، فانظر كيف أنت وكيف ولايتك، وأخبرك: فإن أحسنت زدتك، وإن أسأت عزلتك، وقد وليتك عمل خالد ابن سعيد، ثم أوصاه بما يعمل به في وجهه، وقال له: أوصيك بأبي عبيدة بن الجراح خيرا، فقد عرفت مكانه من الإسلام، وإن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**»، فاعرف له فضله وسابقته، وانظر إلى معاذ بن جبل فقد عرفت مشاهده مع رسول اللَّه ﷺ، وإن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يأتي أمام العلماء يوم القيامة برتوة**» فلا تقطع أمرًا دونهما، فإنهما لن يألواك خيرًا، فقال يزيد: يا خليفة رسول اللَّه أوصهما بي كما أوصيتني بهما، فأنا إليهما أحوج منهما إليّ، قال أبو بكر: لن أدع أن أوصيهما بك، فقال يزيد: يرحمك الله،

(١) سير أعلام النبلاء (٣٢٩/١).
(٢) طبقات ابن سعد (٢٨٤/٧- ٢٨٥).

وجزاك عن الإسلام خيرا[١].

- **وصية الصديق للأمير يزيد بن أبي سفيان:**

أمرّ الصديق يزيد على جيش عظيم هو جمهور من انتدب إليه فيهم سهيل بن عمرو وأمثاله من أهل مكة وأوصاه وغيره من الأمراء فكان مما قال ليزيد: «إني قد وليتك لأبلوك، وأجرّبك، وأخرّجك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى اللَّه فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وإن أولى الناس باللَّه أشدّهم تولّيا له، وأقرب الناس من اللَّه أشدهم تقربًّا إليه بعمله، وقد ولّيتك عمل خالد فإياك وعبية الجاهلية فإن اللَّه يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم، وابدأهم بالخير، وَعِدْهم إياه، وإذا وعظتهم فأوْجز فإن كثير الكلام يُنسي بعضه بعضا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم، وأقلل لبْثهم حتى يخرجوا من عسكرك، وهم جاهلون به، ولا ترينهم فيروا خللك، ويعلموا علمك، وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع مَن قِبلك من محادثتهم، وكن أنت المُتوليّ لكلامهم، ولا تجعل سِرَّك لعلانيتك فيخلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تُصدَق المشورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتي مِن قِبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتِك الأخبار، وتنكشف عندك الأستار، وأكثر حرسك، وبددهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه، وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة، فإنها أيسرهما لقربها من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجَّنَّ[٢] فيها، ولا تُسرع إليها ولا تخذلها مدفعا.

---

(١) تاريخ دمشق (٦٥/٢٤٤، ٢٤٥).

(٢) من اللجاج.

ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم، واكتف بعلانيتهم ولا تجالس العبّاثين وجالس أهل الصدق والوفاء، وأصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرّب الفقر، ويدفع النصر. وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم في الصوامع. فدعهم وما حبسوا أنفسهم له»(١).

وكان مما قاله أيضًا ليزيد: «إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وستجد قومًا فحصوا عن أوساط رؤوسهم من الشعر، فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف، وإني موصيك بعشر: لا تقتلنّ امرأة، ولا صبيًّا، ولا كبيرا هَرِمًا، ولا تقطعنّ شجرا مثمرا، ولا تخربنّ عامرًا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا إلّا لمأكله، ولا تحرقنَّ نخلا، ولا تعرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن.

وقال: «واستظهر الزاد، وسر بالأدلّاء، ولا تقاتل بمجروح؛ فإن بعضه ليس معه، واحترس من البيات، فإن في العرب غرّة، واقلل من الكلام، فإنما لك ما وعي عنك، فإذا أتاك كتابي فأنفذه، فإنما أعلم على حسب إنفاذه... وأستودعك اللَّه الذي لا تضيع ودائعه.

رضِي اللَّه عن أبي بكر، فقد أبلغ في وصيّته، وبالغ في نصيحته، ومن حفظ عنه ما علمه، واحتذي ما أشار به ورسمه، كان سالكًا محجة الرشاد في المعيشة والمعاد، ونسأل اللَّه التوفيق للسداد، وحسن الاستعداد(٢).

عن العتبى قال: استعمل أبو بكر الصديق يزيد بن أبي سفيان على ربع من أرباع الشام، فلما صعد المنبر ارتجّ عليه الكلام، فقال: يا أهل الشام، عسى اللَّه أن يجعل بعد عسر يُسرًا، وبعد غيّ بيانا، واعلموا أنكم إلى إمام فاعل أحوج منكم إلى

---

(١) الكامل (٢/٢٥٣- ٢٥٤).

(٢) تاريخ دمشق (٦٥/٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩).

إمام قاتل، ثم نزل. فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه[١].

أمر أبو بكر يزيد أن يسلك طريق تبوك، وكتب إلى شرحبيل أن يسلك أيضًا طريق تبوك، وكان العقد لكل أمير في بدء الأمر على ثلاثة آلاف رجل فلم يزل أبو بكر يتبعهم الأمداد حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمس مئة.

وَلَّى أبو بكر عَمْرًا فلسطين، وشرحبيل الأردن، ويزيد دمشق[٢].

واجتمع للروم جمع بالعربة من أرض فلسطين فوجّه إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمامة الباهلي فهزمهم، فكان أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد ثم أتوا (الداثن)[٣] فهزمهم أبو أمامة أيضًا[٤].

واجتمع إلى أبي بكر ناس فأرسلهم مع معاوية بن أبي سفيان، وأمره باللحاق بأخيه يزيد. ونزل أبو عبيدة الجابية[٥]، ونزل يزيد البلقاء[٦].

وشهد يزيد فتح **«بُصرى»** مع أبي عبيدة وخالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة قال البلاذري: لما قدم خالد بن الوليد بصرى اجتمعوا عليها وأمّروا خالدًا في حربها، ثم ألصقوا بها وحاربوا بطريقها حتى ألجأوه وكماة أصحابه إليها، ويقال: بل كان يزيد بن أبي سفيان المتقلّد لأمر الحرب لأن ولايتها وإمرتها كانت إليه، لأنها دمشق[٧].

وشهد أجنادين مع خالد بن الوليد، وشرحبيل بن حسنة، وأميرها عمرو بن العاص وكانت أول وقعة بين المسلمين وبين الروم وهي إحدى ملاحم الروم التي

---

(١) المصدر السابق (٦٥/٢٤٩).

(٢) فتوح البلدان (١١٦).

(٣) الداثن: ناحية قرب غزة من فلسطين.

(٤) الكامل (٢/٢٥٤).

(٥) الجابية: قرية من أعمال دمشق، ناحية الجولان، قرب مرج الصفر.

(٦) البلقاء: كورة من أعمال دمشق من الشام ووادي القرى، وقصبتها عمان.

(٧) فتوح البلدان ص (١٢٠).

أبيدوا فيها[١].

اشترك يزيد بن أبي سفيان في حصار دمشق بجيشه ونزل على الباب الصغير[٢]، واشترك في فتحها.

وقال ابن كثير (٧/٢٥): والمشهور أن خالد فتح الباب قسرًا (الباب الشرقي)، وقال آخرون: بل فتحها عنوة أبو عبيدة، وقيل: يزيد بن أبي سفيان.

قال أبو عثمان الصنعاني: «دخلها يزيد بن أبي سفيان قَسْرًا من باب الصغير حتى ركبها وعن سعيد بن عبدالعزيز أن يزيد بن أبي سفيان دخل من باب الصغير قسرا[٣].

وشهد يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وقضاعى بن عامر على كتاب الصلح لأهل دمشق[٤].

ولما فُتحت دمشق أمّر عمر يزيد بن أبي سفيان عليها[٥].

وفي يوم اليرموك سنة ١٣هـ وهو يوم من أيام اللَّه له ما بعده، كان على قلب جيش المسلمين أبا عبيدة، وكان على الميمنة بكراديسها عمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة، وعلى الميسرة بكراديسها يزيد بن أبي سفيان[٦] فأبلى أحسن البلاء وأعزّ اللَّه دينه ونصر جنده.

وفي سنة ١٣هـ بعد فتح دمشق لما استخلف أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان على دمشق، وسار إلى فِحْل؛ سار يزيد إلى مدينة «**صيدا**»[٧] و«**عرقة**»[٨] و«**جبيل**»[٩]

---

(١) تاريخ دمشق (٢/١٠٠، ١٠٣).
(٢) أصغر أبواب دمشق، من الجنوب.
(٣) تاريخ دمشق (٢/١١٦، ١١٧).
(٤) تاريخ دمشق (٢/١١٨).
(٥) طبقات ابن سعد، والاستيعاب (١١/٧٠)، وأسد الغابة.
(٦) انظر الكامل (٢/٢٥٩، ٢٦٠).
(٧) صيدا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ست فراسخ، وهي الآن من لبنان.
(٨) عرقة: بلدة في شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ.
(٩) جبيل. بلد في سواحل دمشق (لبنان)، شرقي بيروت وعلى ثمانية فراسخ من بيروت.

وبيروت، وهي سواحل دمشق على مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحًا يسيرا وجلا كثيرًا من أهلها، وتولى فتح «**عرقة**» معاوية بنفسه في ولاية يزيد[(١)].

فهل يتذكر أهل لبنان يزيد أبي سفيان الفاتح العظيم لبلادهم أم نسوه كما نسي غيرهم من فتح بلادهم.

وفي فتوح البلدان للبلاذري: «سار يزيد إلى عمان ففتحها فتحًا يسيرا بصلح على مثل صلح بصرى، وتوجه يزيد في ولاية أبي عبيدة ففتح «**عرندل**» صلحًا وغلب على أرض الشراة وجبالها[(٢)].

وفي سنة ١٥هـ توذر البطريق الرومي يطلب دمشق، فسار خالد وراءه في جريدة[(٣)]، وبلغ يزيد بن أبي سفيان فِعْل توذر فاستقبله فاقتتلوا، ولحق بهم خالد وهم يقتلون فأخذهم من خلفهم ولم يفلت منهم إلّا الشريد، وغنم المسلمون ما معهم فقسمه يزيد في أصحابه، وأصحاب خالد، وعاد يزيد إلى دمشق، ورجع خالد إلى أبي عبيدة وقد قتل توذر[(٤)].

قال الحافظ الذهبي في ترجمة يزيد بن أبي سفيان: «وعلى يده كان فتح قيسارية[(٥)] التي بالشام»[(٦)].

قال ابن الأثير في أحداث سنة ١٥هـ: «في هذه السنة فُتِحت قيسارية، وقيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين.

وكان سببها أن عُمر كتب إلى يزيد أبي سفيان أَنْ يُرسل معاوية إلى قيسارية

---

(١) الكامل (٢/٢٨٠)، وفتوح البلدان ص (١٣٣).

(٢) البلاذري ص (١٣٢، ١٣٣).

(٣) الجريدة: خيل لا رجالة فيها.

(٤) الكامل (٢/٣٣٨).

(٥) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام تعد في أعمال فلسطين، قريبة من طبرية، وكانت قديمًا من أعيان أمهات المدن.

(٦) سير أعلام النبلاء (١/٣٢٩).

وكتب عمر إلى معاوية يأمره بذلك، فسار معاوية إليها فحصر أهلها فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردهم إلى حصنهم. ثم زاحفوه آخر ذلك مستميتين وبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفًا وكملها في هزيمتهم مئة ألف وفتحها»[١].

ولما مات أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل، فمات معاذ واستخلف يزيد بن أبي سفيان، فمات يزيد، واستخلف أخاه معاوية فأقرّه عمر[٢].

● **الشهيد:**

وأكرم اللَّه يزيد بن أبي سفيان بالشهادة فمات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة قال محمد بن سعد: يزيد بن أبي سفيان بن حرب، مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وقال خليفة بن خياط في تاريخه: وفيها ـ يعني ـ سنة ثمان عشرة ـ طاعون عمواس، مات بالشام فيه يزيد بن أبي سفيان[٣].

و«جزع عمر على يزيد أبي سفيان جزعًا شديدًا، وكتب إلى معاوية بولايته على الشام»[٤].

قال أبو زرعة:

توفي يزيد بن أبي سفيان فأمّر عمر مكانه معاوية، ثم نعاه عمر لأبي سفيان، ثم قال: يا أبا سفيان، احتسب يزيد، فقال أبو سفيان: يرحمه الله، فمن أمّرت بعده مكانه؟ فقال: معاوية، قال: وصلتك رحم[٥].

هذه سطور من سيرة بطلنا المجاهد الذي كان موضع ثقة الرسول والشيخين من بعده.

---

(١) الكامل (٢/٣٤٤).
(٢) تاريخ دمشق (٦٥/٢٥١).
(٣) تاريخ دمشق (٦٥/٢٥٣)، وتاريخ خليفة بن خياط ص (١٣٨).
(٤) تاريخ دمشق (٦٥/٢٥٢).
(٥) تاريخ دمشق (٦٥/٢٥١)، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/٢١٨).

- **يزيد القائد:**

قاد يزيد مجاهدي مكة وأكثرهم من قريش وبعضهم من ساداتها في معارك أرض الشام، وتوليته على هذه الكتلة البشرية التي كانت تضم كثيرًا ممن كان لا يزال يعتد بحسبه ونسبه، دليل على قوة شخصيته وقابليته على السيطرة وثقة الناس به.

وقد أثبتت الحوادث الحربية فيما بعد أنه كان حريًّا بكل هذه الثقة، إذ أنه نجح في قيادته، فلم يفشل في أية معركة خاضها منذ نشب القتال بين المسلمين والروم في أرض الشام حتى توفاه اللّٰه وهو يجاهد الروم في أرض فلسطين.

لقد اشتبكت قواته بالروم (بالعربة)، فكان اشتباكه هذا أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد، وكان لانتصاره على الروم أثر كبير على رفع معنويات المسلمين من جهة وتحطيم معنويات الروم من جهة أخرى. وكان على (الميسرة) في معركة اليرموك، فكان أحد ستة قادة[1]، لهم أثر حاسم في انتصار المسلمين بهذه المعركة الحاسمة في التاريخ.

وقد كان ليزيد أثر في فتح (بصرى) ودمشق، وكان هو القائد المسؤول عن فتح صيدا وعرقة وجبيل وبيروت.

ولما أراد الروم استعادة (دمشق) وحشدوا لهذه الغاية أضخم قوة وأقدر قادة، أعطاهم يزيد بمساعدة خالد بن الوليد درسًا قاسيًا جعلهم يحسبون للمسلمين ألف حساب قبل أن يقدموا على محاولة استعادة جزء من أرض الشام.

وكان الغرض من إقدامه على فتح قيسارية ـ وهي ثغر جليل الخطر حصين الموقع تحميه قوة كبيرة من الروم ـ هو حرمان الروم من إرسال الإمدادات إلى قائدهم (أرطبون) من البحر عن طريقها، وكان أرطبون يخوض حينذاك معركة حياة أو

---

(١) القادة الستة هم:
١ـ القائد العام. ٢ـ قائد المقدمة. ٣ـ قائد المؤخرة. ٤ـ قائد الميمنة. ٥ـ قائد الميسرة. ٦ـ قائد القلب.

موت ضد قوات المسلمين بقيادة عمرو بن العاص؛ وبذلك استطاع المسلمون دحر الروم بسهولة فتقرر مصير فلسطين لأجيال وأجيال.

إن أسباب انتصارات يزيد، تعود لمزايا قيادته الحكيمة الرصينة، فقد كان ذكيًا ألمعي الذكاء فكانت قراراته صائبة، وكان ذا إرادة قوية وشخصية نافذة، يتحمل المسؤولية برحابة صدر، يتمتع بمزية سبق النظر، يحب رجاله ويثق بهم ويحبونه ويثقون به، وله سمعة طيبة وماض مجيد.

وكان قائدًا (تعرضيًا) ينجز (تحشد قوته) قبل الإقدام على عمل حربي ويفكر كثيرًا في إعداد خططه فتكون مثالية في أغلب الأحيان، وكان (يقتصد بقوته) ولا يُقدّم خسائر فادحة في معاركه دون مبرّر.

ولست أشك أن سمعته إنسانًا طيبًا يتمتع بمزايا الخلق الكريم، كانت من أسباب انتصاراته، إذ سبقته سمعته الطيبة إلى عدوه، ففتح بهذه السمعة الطيبة قلوب أعدائه قبل أن يفتح بلادهم.

- **يزيد في التاريخ:**

يذكر التاريخ ليزيد، أنه كان أحد القادة المعدودين الذين كان لهم أثر عظيم في انتصار المسلمين على الروم في أرض الشام.

ويذكره بصورة خاصة أنه فتح ساحل دمشق أو ما يسمى في الوقت الحاضر: (لبنان).

رضِي اللَّه عن الصحابي الجليل، القائد الحكيم»[١].

رضِي اللَّه عن الشهيد البطل يزيد بن أبي سفيان الأموي يزيد الخير.

* * *

(١) قادة فتح الشام ومصر ص (١٠٥- ١٠٧).

(٤٢٥) الصحابي القائد الفاتح
سفيان بن مجيب الأزدي
ويقال: نُفَيْر بن مجيب الأزدي رضي الله عنه فاتح طرابلس

هو الصحابي سفيان بن مجيب ويُقال: نُفَير بن مجيب الأزدي الثُّمَالي، وسفيان أصح قاله ابن عساكر[١].

قال الخطيب: ومجيب هو الصواب، وقال أبو اليمان وغيره: نفير بن مجيب، وقال الهيثم بن خارجة: سفيان، ورجّح أبو حاتم وغيره سفيان على نفير، وكذا ذكره ابن الأثير في الكامل، والبلاذري في «**فتوح البلدان**». وانفرد الدارقطني فرجّح نفيرا. وقيل: سفيان بن بُخيْت[٢].

وقال ابن أبي حاتم: نفير بن مجيب له صحبة قديمة[٣]، وقال أبو عبدالله بن منده: نُفير بن مجيب له صحبة قديمًا ورواية عن النبي ﷺ.

وشهد مع النبي ﷺ حجة الوداع فنال شرف الصحبة والجهاد تحت لواء الرسول ﷺ.

- **جهاده:**

أبلى سفيان في الجهاد بأرض الشام أعظم البلاء واستحق شرف قيادة جيش من جيوش المسلمين.. وهو الجيش الذي توجه لفتح طرابلس[٤].

قال البلاذري: «لما استخلف عثمان وولى معاوية الشام وجّه معاوية سفيان بن

---

(١) تاريخ دمشق (٣٥٢/٢١) ت (٢٥٨٩)، وأسد الغابة (٤٩٩/٢) ت (٢١٢٣)، والإصابة (١٠٨/٣) ت (٣٣٣٩).

(٢) تاريخ دمشق (٣٥٢/٢١)، والإصابة (١٠٨/٣).

(٣) الجرح والتعديل (٥٠٤/٨).

(٤) طرابلس: مدينة من ثلاث مدن على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، عليها سور صخري.

مجيب الأزدي إلى طرابلس، وهي ثلاث مدن مجتمعة فبنى في مرج على أميال منها حصنًا سُمِّي حصن سفيان وقطع المادة عن أهلها من البحر وغيره وحاصرهم، فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة، وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدَّهم أو يبعث إليهم بمراكب كثيرة، فركبوها ليلًا وهربوا، فلما أصبح سفيان، وكان يبيت كل ليلة في حصنه ويحصن المسلمين فيه ثم يغدو على العدو وجد الحصن الذي كانوا فيه خاليًا، فدخله وكتب بالفتح إلى معاوية. فأسكنه معاوية جماعة كبيرة من اليهود، وهو الذي فيه الميناء اليوم، وكان معاوية يوجه في كل عام إلى طرابلس جماعة كثيفة من الجند يشحنها بهم ويوليها عاملا»[١].

وفي تاريخ ابن عساكر: «أن معاوية بن أبي سفيان وجّه إليها سفيان بن مجيب الثمالي في جماعة وعسكر عظيم، فعسكر في مَرْج (السلسلة) بينه وبين مدينة أطرابلس خمسة أميال في أصل جبل يُقال له (طربل)، فكانوا هنالك يسير إليهم منه. فحاصرهم سفيان ومَن معه أشهرًا حتى انحاز أهلها إلى حصنها الخرب اليوم عند كنيستها الخارجة منها قبل مدينة أطرابلس اليوم، فكتب إليه معاوية يأمره أن يبني له ولأصحابه حصنًا يأوي إليه ليلًا، ويغازيهم نهارًا، فبنى سفيان حصنًا يُقال له حصن سفيان، وهو اليوم يُسمَّى كفر قدح من مدينة أطرابُلس على ميلين ونحو ذلك، فلما رأى ذلك أهلها واشتد عليهم الحصار كتبوا إلى طاغية الروم فوجّه إليه مراكب كثيرة فأتوهم ليلا فاحتملوهم فيها جميعًا صغيرهم وكبيرهم وحرقوها، وصبّح سفيان وأصحابه الحصن فلم يجدوا فيه أحدًا إلا يهوديًا تحصن من النار في سربٍ فيها، فخرج من السرب فأخبرهم خبر الروم ومسيرها في السفن»[٢].

ولّاه معاوية (بَعْلَبَك) وزوجه حفصة بنت أمية بن حرب[٣].

---

(١) «فتوح البلدان» للبلاذري ص (١٣٣).
(٢) تاريخ دمشق (٢١/٣٥٦).
(٣) الإصابة وتاريخ دمشق.

- **القائد:**

كانت طرابلس مدينة حصينة، وكان المدافعون عنها يتصلون بالروم عن طريق البحر الذي كان الروم متفوقين فيه على المسلمين بأساطيلهم، إذ لم يكن لدى المسلمين حينذاك أسطول قوي ينافس الأسطول الرومي، لذلك استطاع الروم الصمود فيها طويلًا، فكان على المسلمين أن يصبروا طويلًا على متطلبات الحصار.

إن الحصار يحتاج إلى قائد يتمتع بمزيتي الضبط الشديد والصبر الجميل، كما يحتاج إلى جنود مدربين يتمتعون بالضبط والطاعة؛ وانتصار المسلمين على الروم بعد حصار طويل يدل على شدة ضبط سفيان ومقدار صبره، وحسن تدريب رجاله وتكامل ضبطهم.

ولقد أعان سفيان على الروم بناءه حصنًا يبيت هو والمسلمون فيه ليلًا ويغدون على العدو نهارًا، مما جعل المسلمين يصبرون على الحصار الطويل بسهولة ويسر.

إن تفكير سفيان ببناء هذا الحصن دليل على تمتعه بقابليات إدارية ممتازة، وعمله هذا يصعب إنجازه في العصر الحاضر، فكيف أنجزه سفيان في تلك الأيام؟

لقد كان يتمتع بعقلية متزنة وتفكير صائب، لذلك كانت قراراته صحيحة، وكان ذا شخصية قوية وإرادة صلبة، لا تتبدل نفسيته في حالتي النصر والاندحار، يحب رجاله ويثق بهم ويحبونه ويثقون به، وكان شجاعًا مقدامًا ذا ماض مشرف.

- **سفيان في التاريخ:**

يذكر التاريخ لسفيان أنه فاتح طرابلس الشام، تلك المدينة التي كان يسكنها الروم واليهود، فأصبحت معقلًا من معاقل العروبة والإسلام.

ويذكر له أنه أول قائد عربي مسلم فكَّر بإنشاء حصن يلجأ إليه المسلمون ليلًا فيأمنون فيه غائلة التقلبات الجوية ومباغتة العدو لهم، كما أن هذا الحصن حطم معنويات الروم، لأنهم يئسوا من نزوح المسلمين عنهم قبل فتح مدينتهم الحصينة.

رضِي اللَّه عن الصحابي الجليل، المجاهد الصابر، القائد الفاتح سفيان بن مجيب الأزدي[١].

* * *

(٤٢٦) الصحابي القائد الفاتح الشهيد أبو عبداللَّه شرحبيل بن حسنة الكِنْدِيّ[٢] رضي الله عنه فاتح الأردن

هو الصحابي الجليل شرحبيل بن حَسنَة: وهي أمه على ما جزم به غير واحد. وقال أبو عمر: بل تبنّته. وأبوه عبداللَّه بن المطاع (أو المُطاح)[٣] بن عمرو من كندة.

ويقال: المطاع بن عبدالعزّى بن قَطَن بن الغوث بن مُرّ.

ويقال: عبداللَّه بن المطاع بن عبداللَّه الغطريف بن عبدالعزّى بن جَثّامة بن مالك الكندي. ويقال: التميمي، ويُقال: إنه من ولد الغوث بن مرّ أخي تميم بن مرّ فقيل له: التميمي لذلك.

وكنيته أبو عبدالله، ويقال: أبو عبدالرحمن، ويقال: أبو واثلة الكندي.

حليف بني زهرة صاحب رسول اللَّه ﷺ، وأخو عبدالرحمن بن حسنة.

وحسنة أمه هي من عَدَوْل ساحل اليمن، وهي من المهاجرات، وكانت مولاة، وكانت تحت سفيان بن معمر بن حبيب الجُمحي[٤].

قال ابن سعد عنه: «شرحبيل بن حسنة.. أسلم قديمًا بمكة، وهو من مهاجرة الحبشة في الهجرة الثانية، وكان مِن عِلْيَة أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وغزا معه

(١) قادة فتح الشام ومصر، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٢) انظر الترجمة في طبقات ابن سعد (٤/٩٤)، (٧/٢٧٦) ت (٣٨٥)، (٣٦٩٨)، وأسد الغابة (٢/٦١٩) ت (٢٤١٠)، والإصابة (/) ت (٣٨٨٨)، وتاريخ دمشق (٢٢/٤٦٤) ت (٢٧٢٩).

(٣) المطاح كذا في طبقات ابن سعد (٧/٢٧٦).

(٤) تاريخ دمشق (٢٢/٤٦٥).

غزوات[١].

قال محمد بن إسحاق: كانت حسنة أمّ شرحبيل امرأة سفيان بن معمر بن حبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمح، وكان له منها من الولد خالد وجنادة ابنا سفيان فهاجر سفيان بن معمر إلى أرض الحبشة فخرج بامرأته حسنة معه، وخرج بولده خالد وجنادة معه، وأخرج معهم أخاهم لأمهم شُرَحبيل ابن حسنة في الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة[٢].

- **جهاده:**

نال شرحبيل بن حسنة شرف الجهاد تحت لواء رسول اللَّه ﷺ وكان رضي الله عنه له أثر في قتال المرتدين:

بعث الصديق عكرمة بن أبي جهل في عسكر إلى اليمامة، وأتبعه شرحبيل بن حسنة وقال له:

إذا فرغت من اليمامة فالحق بقضاعة وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة»[٣]، فعجل عكرمة ليذهب بصوتها، فواقعهم فنكبوه، وأقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر، فكتب الصديق إلى شرحبيل يأمره بالمقام إلى أن يأتي خالد، فإذا فرغوا من مسيلمة تلحق بعمرو بن العاص تعينه على قضاعة، وسار خالد إلى اليمامة، وبنو حنيفة يومئذ كثيرون، وكانت عدّتهم أربعين ألف مقاتل في قراها وحجرها، وعجّل شرحبيل بن حسنة، وفعل فعل عكرمة، وبادر خالدًا بقتال مسيلمة قبل قدوم خالد عليه، فنُكِب، فحاجز، فلما قدم عليه خالد لامه، وأمد أبو بكر خالدًا بسليط ليكون ردءًا له لئلا يؤتي من خلفه[٤] وسار خالد نحو مسيلمة،

(١) طبقات ابن سعد (٤/٧٦)، (٧/٩٥).

(٢) طبقات ابن سعد (٧/٩٥).

(٣) الكامل (٢/٢٠٨).

(٤) الكامل (٢/٢١٩).

وتولىّ هو بنفسه قيادة المقدمة ومعه شرحبيل[١]، فكان شرحبيل على رأس قوات المسلمين الأولى التي اصطدمت بقوات مسيلمة من بني حنيفة وحلفائهم في (عقرباء)[٢] حيث أبلى في هذه المعركة أحسن البلاء.

- **شرحبيل أحد قوّاد الجيوش في أرض الشام:**

الظاهر أن شرحبيل بقي مع خالد بن الوليد بعد معركة اليمامة التي تمَّ القضاء بها على فتنة مسيلمة ورافقه إلى العراق وشهد معه كافة معاركه في العراق خلال سنة اثنتي عشرة للهجرة[٣]؛ فلما قدم شرحبيل من عند خالد إلى أبي بكر وافدًا، أمرَّه أبو بكر بالشام وندب معه الناس[٤]، وبذلك تولى قيادة أحد جيوش المسلمين في الشام سنة ثلاث عشرة للهجرة[٥].

كان مع شرحبيل ثلاثة آلاف رجل سلك بهم طريق (تَبُوك)، فلم يزل أبو بكر يمد أمراءه في الشام بالرجال، حتى صار مع شرحبيل سبعة الآف وخمس مئة رجل وكان أبو بكر قد ولَّاه الأردن[٦].

وما كادت جيوش المسلمين تصل الشام، حتى أرسل (هرقل) قادته وجيوشه باتجاه قادة وجيوش المسلمين[٧]؛ ليشغل جيوش المسلمين عن بعض، وحتى يحول دون تعاون قادة المسلمين فيما بينهم، ولتضعف كل فرقة من المسلمين عمّن بإزائها من الروم؛ ولكن قادة المسلمين فوتوا على (هرقل) هذه الفرصة، إذ كتبوا إلى عمرو ابن العاص يسألونه الرأي، فكاتبهم بالاجتماع في (اليرموك)، وأيدّ أبو بكر هذا

---

(١) الطبري (٥٠٨/٢).
(٢) عقرباء: منزل من أرض اليمامة.
(٣) الطبري (٥٧٧/٢). ورد لشرحبيل ذكر في معركة «عين التمر».
(٤) الطبري (٥٨٩/٢)، والبلاذري ص (١١٥).
(٥) الطبري (٥٨٩/٢).
(٦) البلاذري ص (١١٦).
(٧) الطبري (٥٩٠/٢).

الرأي[١].

وفي معركة (اليرموك) الحاسمة، كان شرحبيل أحد مئة من أبطال المسلمين من المهاجرين والأنصار الذين اختارهم خالد فدائيين: كل فارس منهم يرد جيشًا[٢]، حتى يؤثِّر بهؤلاء المغاوير على معنويات الروم، في ابتداء نشوب القتال. وفي هذه المعركة تولى شرحبيل قيادة أحد كراديس الميمنة[٣] وكان له أثر مرموق في انتصار المسلمين على الروم.

وشهد بطلنا فتح «**بصرى**» صلحًا مع خالد بن الوليد وأبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان[٤].

وشهد شرحبيل بن حسنة (أجنادين) مع خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان، وأميرها عمرو بن العاص وكانت ملحمة من ملاحم الروم التي أبيدوا فيها[٥]، وانتصر فيها المسلمون انتصارًا عظيمًا.

● **الفاتح:**

كان بطلنا أحد أمراء الأجناد الذين عقد لهم الصديق وولّاه جيشًا كبيرًا وهو أهل لذلك. «لما عزل الصديق خالد بن سعيد عن الإمرة كتب إليه: أيّ الأمراء أحبّ إليك؟ فقال: ابن عميّ أحبّ إليّ في قرابته وهذا ـ أي شرحبيل ـ أحبّ إليّ في ديني، قال: هذا أخي في ديني على عهد رسول الله ﷺ وناصري على ابن عمي، فاستحبّ أن يكون مع شرحبيل بن حسنة»[٦].

---

(١) الطبري (٢/٥٩٠).

(٢) فتوح الشام للواقدي (١/١٢٠).

(٣) الطبري (٢/٥٩٣).

(٤) فتوح البلدان ص (١٢٠).

(٥) تاريخ دمشق (٢/١٠٠، ١٠٣). وأجنادين موضع من نواحي فلسطين قريب من الرملة من كورة «بيت جبرين».

(٦) تاريخ دمشق (٢٢/٤٧٢).

«افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عَنْوة ما خلا طبرية، فإن أهلها صالحوه، وذلك بأمر أبي عبيدة بن الجراح[1].

وقبل فتح الأردن كان شرحبيل بن حسنة بجيشه مشاركًا في حصار دمشق وفتحها، وكان على باب الفراديس[2].

● **بطل «فِحْل» وفاتح الأردن:**

لما فُتحت دمشق سار أبو عبيدة إلى «**فِحْل**»[3]، وبعث خالدًا على المقدمة، وعلى الناس شرحبيل بن حسنة، وكان على المجنّبتين أبو عبيدة، وعمرو بن العاص، وعلى الخيل ضرار بن الأزور، وعلى الرجال عياض بن غنم، وكان أهل فحل قد قصدوا «**بيسان**»[4] فهَمّ بها فنزل شرحبيل بالناس فحلًا وبينهم وبين الروم تلك المياه والأوحال، وكتبوا إلى عمر بالخبر وهم يحدثون أنفسهم بالمقام، ولا يريدون أن يرموا فحلًا حتى يرجع كتابهم من عند عمر، ولا يستطيعون الإقدام على عدوهم في مكانهم لما دونهم من الأوحال، وكانت العرب تسمى تلك الغزاة «**ذات الردغة**» و«**بيسان**» و«**فحل**»، وأقام الناس ينتظرون كتاب عمر، فاغترّهم الروم فخرجوا، وعليهم سقلار بن مخراق، ورجوا أن يكونوا على غرّة، فأتْوهم والمسلمون حذرون، وكان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبية، فلما هجموا على المسلمين لم يناظروهم، فاقتتلوا أشد قتال، كان لهم ليلتهم ويومهم إلى الليل، وأظلم الليل عليهم وقد حاروا فانهزم الروم وهم حيارى، وقد أُصيب رئيسهم صقلار، والذي يليه فيهم تسطوس، وظفر المسلمون بهم أحسن ظفر وأهنأه، وركبوهم، ولم تعرف الروم مأخذهم، فانتهت بهم الهزيمة إلى الوحل فركبوه،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ الطبري (٢/٦٢٦).

(٣) فِحْل: اسم موضع بأرض الشام من ناحية الأردن.

(٤) بيسان: مدينة بالأردن بالغور الشمالي.

ولحقهم المسلمون فأخذوهم، ولا يمنعون يَدَ لامسٍ، فوخزوهم بالروح، فكانت الهزيمة بفحل والقتل بالرداغ فأُصيب الروم وهم ثمانون ألفا لم يفلت منهم إلا الشريد، وقد كان اللَّه يصنع للمسلمين وهم كارهون، كرهوا البثوق والوحل فكانت عونًا لهم على عدوهم، وأناة من اللَّه ليزدادوا بصيرة وجدًّا، وغنموا أموالهم فاقتسموها [(١)].

● **فتح بيسان وطبرية[(٢)] سنة ١٣هـ:**

لما قصد أبو عبيدة حِمْصِ من فِحْل أرسل شرحبيل ومن معه إلى «**بيسان**» فقاتلوا أهلها فقتلوا منهم خلْقًا كثيرًا، ثم صالحه مَنْ بقي على صلح دمشق فقبل ذلك منهم، وكان أبو عبيدة قد بعث بالأعور إلى طبرية يحاصرها، فصالحه أهلها على صلح دمشق أيضًا وأن يشاطروا المسلمين المنازل فنزلها القواد وخيولها وكتبوا بالفتح إلى عمر [(٣)].

وعند الطبري: بلغ أهل «**طبرية**» خبر «**بيسان**»، فصالحوا شرحبيل على مثل صلح دمشق [(٤)].

وقال البلاذري: «افتتح شرحبيل بن حسنة «**الأردن**» عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه على انصاف منازلهم وكنائسهم».

وقال: «فتح شرحبيل بن حسنة طبرية صلحًا بعد حصار أيام على أن أَمَّن أهلها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ومنازلهم إلّا ما جلوْا عنه وخلوّه، واستثنى لمسجد المسلمين موضعا، ثم أنهم نقضوا في خلافة عمر، واجتمع إليهم قوم من الروم وغيرهم، فأمر أبو عبيدة عمرو بن العاص بغزوهم فسار إليهم في أربعة آلاف

---

(١) الكامل (٢/٢٧٩، ٢٨٠).

(٢) طبرية: بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل، وجبل الطور مطل عليها، وهي من أعمال الأردن في طرف الغور.

(٣) الكامل (٢/٨١).

(٤) الطبري (٢/٦٣٠).

ففتحها على مثل صلح شرحبيل، ويقال: بل فتحها شرحبيل ثانية، وفتح شرحبيل جميع مدن الأردن وحصونها على هذا الصلح فتحًا يسيرا بغير قتال ففتح بيسان، وفتح «**سوسية**»، وفتح أفيق، وجرش، وبيت رأس وقدس والجولان، وغلب على سواد الأردن وجميع أرضها.

وفتح شرحبيل عكا وصور، وصفورية[١].

- **الإنسان:**

كان شرحبيل من عِلْية أصحاب رسول اللَّه ﷺ، أوفده رسول اللَّه ﷺ إلى مصر رسولا فمات النبي ﷺ وشرحبيل بمصر[٢]، وكان معدودًا من وجوه قريش[٣]. وله رواية عن رسول اللَّه ﷺ، وهو أحد كتّاب الوحي[٤].

- **وكان صريحًا لا يخشى في اللَّه لومة لائم:**

لما وقع الطاعون بالشام خطب عمرو بن العاص الناس، فقال إن هذا الطاعون رجس، فتفرّقوا عنه في هذه الشعاب، وفي هذه الأودية، فبلغ ذلك شرحبيل بن حسنة، فغضب، فجاء وهو يجرّ ثوبه معلّق نعله بيده، فقال: صحبت رسول اللَّه ﷺ، وعمرو أضلُّ من حمار أهله، ولكن رحمة رُبكم ودعوة نبيكم، ووفاة الصالحين قبلكم[٥].

ومَنَّ اللهُ على البطل شرحبيل بن حسنة بالشهادة، فَطُعِن أبو عبيدة، وشرحبيل ابن حسنة وأبو مالك جميعًا في يوم واحد[٦]. في سنة ثماني عشرة وشرحبيل ابن سبع وستين سنة.. مات بطلنا شهيدًا بطاعون عمواس.

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (١٢٢- ١٢٣).
(٢) تاريخ دمشق (٤٧١/٢٢). (٣) الاستيعاب (٦٩٩/٢).
(٤) فتوح الشام للواقدي (٦/١).
(٥) الاستيعاب (٦٢٠/٢). صحيح: أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي.
(٦) تاريخ دمشق (٤٧٧/٢٢).

- **القائد:**

لما نُكب شرحبيل بن حسنة في لقاء مسيلمة أوّلًا من جراء تسرّعه، كان هذا أعظم درس تعلمّه، ومن يومها أصبحت قيادة شرحبيل تتسم بالتريّث الشديد والحذر والحيطة واليقظة، فكان لا يسير ولا يبيت ولا يصبح إلا على تعبية، وذلك ليحرم العدو من مباغتة قوات المسلمين.

لقد أصبح بعد الدرس القاسي الذي تلقاه في اليمامة، ينجز تحشيد قواته ويكمل أمورها الإدارية ويُعد كافة قضايا الاستطلاع والحصول على المعلومات قبل أن يخوض غمار القتال، لذلك استطاع فتح الأردن كله بخسائر طفيفة نتيجة لحذره وحرصه الشديد على الأرواح تسفك بدون مبرّر.

لقد كان يتحلَّى بالعقيدة الراسخة والضبط المتين والشجاعة والإقدام، له عقلية متزّنة وشخصية نافذة وإرادة قوية، يحب رجاله ويحبونه ويثق بهم ويثقون به وله ماض مشرف ناصع[١].

- **شرحبيل في التاريخ:**

يذكر التاريخ لشرحبيل أنه أمضى حياته مهاجرا مجاهدًا في حياة النبي، ومجاهدًا للمرتدين بعد وفاته وأنه فاتح الأردن والجولان فهل يذكر هذا أهل الأردن وسكّان الجولان. وما أعظم أثره وجهاده في اندحار الروم ونشر الإسلام في الشام، فرضي الله عن الصحابي القائد الفاتح الشهيد شرحبيل بن حسنة الكندي.

* * *

---

(١) قادة فتح الشام ومصر ص (١١٩).

(٤٢٧) الصحابي الوليّ القائد
أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه
أول فاتح لفلسطين فاتح العربة[١] والداثن[٢] من أرض فلسطين

هو صاحب رسول الله ونزيل حمص أبو أمامة الباهلي

قال خليفة: ومن قيس عَيْلان، ثم من بني أعصُر، صُدَيٌّ بن عجْلان بن وهب بن عريب بن وهب بن رياح بن الحارث بن مَعْن بن مالك بن أعصُر، مشهور بكُنيته أخرج الطبراني ما يدلُّ على أنه شهد أُحُد لكن بسند ضعيف[٣].

وروي أنه بَايع تحت الشجرة.

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ الآية [الفتح: ١٨]، فقلت: يا رسول الله، أنا ممن بايعك تحت الشجرة قال: (أنت مني وأنا منك)[٤].

فهو من صحابة رسول الله ﷺ الذين شرفوا بصحبة رسول الله ﷺ والجهاد معه.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: أرسلني النبي ﷺ إلى باهلة، فأتيتُـهم فرحَّبوا بي[٥]، فقلتُ: جئت لأنهاكُم عن هذا الطعام، وأنا رسولُ رسولِ اللَّه لتؤمنوا به، فكذّبوني، وردوني فانطلقت وأنا جائع ظمآن فنمت فأتيت في منامي بشربة من لبن فشربت، فشبعتُ، فعَظُم بطني. فقال القوم: أتاكم رجل من أشرافكم

---

(١) عربة: موضع في أرض فلسطين.

(٢) الداثن: ناحية قرب غزة بأعمال فلسطين.

(٣) أسد الغابة: (١٥/٣) ت (٢٤٩٧)، والإصابة (٣٣٩/٣) - (٤٠٧٩)، وطبقات ابن سعد ٢٨٨/٧، وسير أعلام النبلاء (٣٥٩/٣).

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢٠٤/٥، والطبراني في الكبير ٨٩/١٩، والبيهقي في دلائل النبوة ١٨٦/٢.

(٥) وعند أبي يعلى: (فانتهيت إليهم وانا طاو وهم يأكلون الدم) زيادة على ما ها هنا.

وخياركم، فرددتموه؟ قال: فأتوْني بطعام وشراب، فقلتُ: لا حاجة لي فيه، إن اللّٰه قد أطعمني وسقاني، فنظروا إلى حالي، فآمنوا»[١].

- **جهاده:**

كان أبو أمامة رضي الله عنه مجاهدًا فَذًّا لا يُشَقُّ له غبار، ويتطلّع إلى بطولته الفرسان ولذلك تولىّ أول قتال للروم بالشام. وكان رضي الله عنه قائدًا مرؤسا من قوّاد يزيد بن أبي سفيان. فلما اجتمع للروم جمع بالعربة من أرض فلسطين [سنة ١٣هـ] وجَّه إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمامة الباهلي فهزمهم، فكان أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد.

ثم أتَوْا الداثن فهزمهم أبو أمامة أيضًا»[٢].

وقال البلاذري: «أول وقعة كانت بين المسلمين وعدوهم بقرية من قرى غزّة يُقال لها: داثن، كانت بينهم وبين بطريق غزة.

فاقتتلوا فيها قتالًا شديدا، ثم إن اللّٰه أظهر أولياءه وهزم أعداءه وفضّ جمعهم وذلك قبل قدوم خالد بن الوليد الشام، وتوجه يزيد بن أبي سفيان في طلب ذلك البطريق فبلغه أن بالعربة من أرض فلسطين جَمْعًا للروم فوجّه إليهم أبا أمامة الصُّدى بن عجلان الباهلي فأوقع بهم، وقتل عظيمهم ثم انصرف.

وروى أبو مخنف في يوم العربة أن ستة قوّاد من قُوّاد الروم نزلوا العربة في ثلاثة آلاف فسار إليهم أبو أمامة في كثف من المسلمين فهزمهم وقتل أحد القوّاد ثم اتبعهم فصاروا إلى الدبية - وهي الدابية - فهزموهم وغنم المسلمون غنما حَسَنا.

وحدثني أبو حفص الشامي عن مشايخ الشام قالوا: كانت أول وقائع المسلمين

---

(١) حسن : قال الهيثمي في المجمع (٩/٣٨٧): رواه الطبراني بإسنادين، وإسناد الأولى حسن، فيها أبو غالب وقد وُثّق، ونسبه الحافظ في «الإصابة» (٢/١٨٢) إلى أبي يعلى وللبيهقي في «الدلائل» وهو عند ابن عساكر.

(٢) الكامل ٢/٢٥٤.

وقعة العربة ولم يُقاتلوا قبل ذلك مُذْ فصلوا من الحجاز، ولم يمرّوا بشيء من الأرض فيما بين الحجاز وموضع هذه الوقعة إلا غلبوا عليه بغير حرب وصار في أيديهم»[١].

وقاتل أبو أمامة رضي الله عنه مع أبي عبيدة في كافة معاركه، فقد كان معه حين سار أبو عبيدة يريد قورس، وقدّم أبو عبيدة أمامه عياضًا فتلقّاه راهب من رهبانها يسأل الصلح عن أهلها، فبعث به إلى أبي عبيدة وهو بين جبرين وتل أعزاز فصالحه، ثم أتى قورس فعقد لأهلها عهدًا وأعطاهم مثل الذي أعطى أنطاكية وكتب للراهب كتابا، وبث خيله فغلب على جميع أرض قورس إلى آخر حد نقابلس، قالوا: وكانت قورس كالمسلحة لأنطاكية يأيتها في كل عام طالعة من جند أنطاكية ومقاتلتها، ثم حوّل إليها ربع من أرباع أنطاكية وقُطعت الطوالع عنها[٢].

- **أبو أمامة العابد المحدث الوَلِيّ:**

اكتملت في أبي أمامة كل جوانب السيادة والريادة. . .فهو المحدِّث المكثر في الرواية عن رسول اللّه ﷺ وهو الصوّام، وهو المتصدق صاحب الكرامة، وهو القائد المجندل للأبطال. . وهو الخبير بالقلوب وما يحفظ عليها إخلاصها.

قال محمد بن زياد: رأيت أبا أمامة أتى على رجل في المسجد، وهو ساجد يبكي، ويدعو، فقال: أنت أنت! لو كان هذا في بيتك[٣].

وعن رجاء بن حيوة عن أبي أمامة رضي الله عنه أنشأ رسول الله ﷺ جيشًا فأتيتُه، فقلتُ: يا رسول اللّه ادعُ اللّه لي بالشهادة، قال: **«اللهم سلمِّهم وغنِّمهم»** فغزونا فسلمنا وغنمنا، حتى ذكر ذلك ثلاث مرات، قال: ثم أتيته فقلتُ: يا رسول الله، إني أتيتك تترى ثلاث مرات، أسألك أن تدعو لي بالشهادة فقلت: **«اللهم**

---

(١) «فتوح البلدان» للبلاذري ص ١١٧.

(٢) فتوح البلدان ص ١٥٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/٣٦١.

سلمِّهم وغنِّمهم»، فَسَلِمنا وغنمنا يا رسول الله، فمُرني بعمل أدخل به الجنة، فقال: «**عليك بالصوم فإنه لا مِثل له**» قال: فكان أبو أمامة لا يرى في بيته الدخان نهارًا إلّا إذا نزل بهم ضيف، فإذا رأوا الدخان نهارًا عرفوا أنه قد اعتراهم ضيف.»[١] كان أبو أمامة، وامرأته، وخادمه لا يُلْفَون إلا صيامًا[٢].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول اللَّه مُرْني بعمل، قال: «**عليك بالصوم؛ فإنه لا عدل له**». قلت: يا رسول الله: مرني بعمل، قال: «**عليك بالصوم؛ فإنه لا عدل له**»[٣].

قال الذهبي: «ولأبي أمامة كرامة باهرة جزء هو منها، وهي في كرامات الدكاليّ وأنه تصدق بثلاثة دنانير، فلقى تحت كراجته ثلاث مائة دينار».

وفي تاريخ الذهبي: عن مولاة لأبي أمامة قالت: «كان أبو أمامة يحبُّ الصدقة ولا يقف به سائل إلا أعطاه، فأصبحنا يومًا وليس عنده إلّا ثلاثة دنانير، فوقف به سائل، فأعطاه دينارًا، ثم آخر، فكذلك، ثم آخر، فكذلك، قلتُ: لم يبق لنا شيء، ثم راح إلى مسجده صائما، فرققت له واقترضت له ثمن عشاء، وأصلحت فراشه، فإذا تحت المرفقة ثلاث مائة دينار، فلما دخل ورأى ما هيّأت له جئت بما جئت به، ثم تركته بموضع وضيعه! قال: وما ذاك؟ قلت: الذهب ورفعتُ المرفقة، ففزع لما رأى، وقال: ما هذا ويحك؟ قلتُ: لا علم لي، فكثر فزعه»[٤].

- **وأليك أخرى أجمل وأحلى:**

وعند البيهقي: «جاء رجل إلى أبي أمامة فقال: إني رأيتُ في منامي الملائكة

(١) إسناده صحيح على شرط مسلم: أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٩٣٠)، وابن أبي شيبة، والنسائي، (١٦٥/٤)، والطبراني (٧٤٦٣)، وعبدالرزاق، والحاكم (٤٢١/١).

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٦٠/٣، انظر: مسند أحمد (٢٤٨/٥، ٢٤٩).

(٣) صحيح: رواه النسائي، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٨٩٣)، (هكذا بالتكرار وبدونه، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤١٣/١).

(٤) تاريخ الإسلام «للذهبي» (٣١٥/٣).

تصلي عليك كلَّما دخلت وكلما خرجت، وكلما قمت وكلّما جلست[١].

سكن ﷺ حمص، ومات بها، وهو آخر من مات بالشام من الصحابة سنة ست وثمانين هجرية (٧٠٥)م.

- **أبو أمامة القائد:**

الظاهر أن أبا أمامة كان من أولئك القادة المشبعين بروح التعرض والمباغتة، وكان من القادة الشجعان الذين تستهويهم المغامرة ولا تخيفهم الأهوال، يدلنا على ذلك إقدام أبي أمامة على مهاجمة الروم في معركتين كبيرتين داخل بلادهم وفي عقر دارهم؛ إذ لا بد أن يكون الروم حينذاك قد حشدوا قواتهم واستحضروا للقتال، لأن الروم كان لها الوقت الكافي لتحشيد قواتهم وإعداد كافة متطلباتها الإدارية لتكون مستعدة لخوض معركة مدبّرة؛ ولأن كل جيش يبذل قصارى جهده لإحراز النصر في المعارك الأولى التي ترفع معنويات المنتصر وتحطّم معنويات المندحر.

لقد كان لأبي أمامة شرف رفع معنويات المسلمين في المعارك الأولى ضد الروم، ورفع المعنويات معناه إحراز نصف النصر كما يقولون.

إن انتصار أبي أمامة على الروم دليل على تمتعه بعقلية جوالة وتفكير صائب وإرادة قوية وشخصية نافذة وشجاعة نادرة وإقدام فذ، كما أنه كان قديرًا على إصدار القرارات السريعة الجريئة الصائبة، وكان موضع ثقة وحب رجاله ورؤسائه على حد سواء، كما أن تكليفه بهذا الواجب دليل قاطع على ماضيه الناصع المجيد.

- **أبو أمامة في التاريخ:**

لقد بخل التاريخ حقًّا على أبي أمامة في إعطائه حقه من التقدير والذكر، ومن المؤلم ألا نجد في التاريخ تفاصيل تلقي ضوءًا ولو قليلًا على حياة هذا القائد العظيم.

---

(١) الإصابة: (٣/٣٤٠، ٣٤١)، وقال الحافظ ابن حجر: الحديث سنده صحيح.

إن أسامة بن زيد كان أول من جَرّأ العرب على مهاجمة الروم فكان صاحب الفضل الأول في فتح أرض الشام. أما أبو أمامة فكان صاحب الفضل بعد أسامة في إثبات مقدرة العرب عمليًا على دحر الروم، وكان صاحب الفضل في رفع معنوياتهم وجعلهم يستهينون بالروم غير مكترثين بتفوق الروم عدديًّا عليهم وأن الروم يقاتلون في بلادهم ويستندون على قواعد قريبة، بينما جاء العرب المسلمون من مكان بعيد في عَدد قليل وعُدد بالية بالنسبة لعَدد وعُدَد الروم.

أليس من العقوق ألا نعرف أبا أمامة وفضله الكبير على فتح الشام؟

إن أبا أمامة فتح بمعاركه قلوب أهل الشام، وقد فتح القادة الآخرون في معاركهم التالية ديار أهل الشام.

رضي اللَّه عن الصحابي الجليل، القائد الفاتح، الفقيه المحَدِّث، أبي أمامة الباهلي [1].

* * *

(١) قادة فتح الشام ومصر ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٤٢٨) الصحابي القائد الفاتح
أبو الأعور السُّلَمي رضي الله عنه
فاتح طبرية[١]

هو الصحابي أبو الأعور عَمْرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن قائف بن الأوقص بن مُرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن سليم. مشهور بكنيته[٢].

قال مسلم، وأبو أحمد في الحاكم في الكُنى: لهُ صحبة، وذكره البغوي، وابن قانع، وابن سُمَيع، وابن منده وغيرهم في الصحابة.

وقال عبّاس الدُّوري في تاريخ يحيى بن معين: سمعتُ يحيى يقول: أبو الأعور السلمي رجل من أصحاب النبي ﷺ، وكان مع معاوية.

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: أدرك الجاهلية، ولا صحبة له، وتبعه أبو أحمد العسكري. ولم يذكره البخاري في الصحابة[٣].

وأولى الأقوال أنه من الصحابة فإنهم ما كانوا يُؤَمِّرون إلا الصحابة وخاصة في عهد أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ قال أبو عُمر: شهد حُنينا وهو مشرك مع مالك بن عوف ثم أسلم.

والظاهر أنه شهد تحت راية الرسول القائد غزواته الأخرى بعد حُنينْ.

● **جهاده:**

شهد أبو الأعور أكثر معارك الفتح في أرض الشام، وكان على كردوس في

---

(١) طبرية: بليدة مُطلّة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، وهي في طرق جبل، وجبل الطور يُطلُّ عليها، وبينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وكذلك بينها وبين بيت المقدس.

(٢) انظر الإصابة: (٤/٥٢٩) ت (٥٨٦٧)، وأسد الغابة (٤/٢٢٠) ت(٣٩٤٦)، والاستيعاب ت (١٩٤٢).

(٣) الإصابة: (٤/٥٢٩ ـ ٥٣٠).

معركة اليرموك الحاسمة[(١)]، وشهد فتح دمشق ثم سرّحه أبو عبيدة مع عشرة قواد آخرين إلى «**فحل**»[(٢)]، فتقدم جيوش المسلمين إليها، فلما نزلها تركها أهلها وقصدوا (بيسان)، فلما وصلت قوات المسلمين بقيادة شرحبيل بن حسنة، قدّم أبا الأعور إلى (طبرية)[(٣)].

ولما فرغ شرحبيل من معركة (فحل) هاجم (بيسان) فحاصرها أيامًا فخرج المدافعون عنها ولكنهم هُزموا، فصالح شرحبيل أهل (بيسان) على مثل صلح دمشق. وبلغ أهل (طبرية) الخبر، فصالحوا أبا الأعور على أن يبلغهم شرحبيل؛ فصالح شرحبيل أهلها على صلح دمشق أيضًا على أن يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن وما أحاط بها مما يصلها، فيدعون لهم نصفًا ويجتمعون في النصف الآخر، وعن كل رأس دينار كل سنة، وعن كل جريب أرض جريب بر أو شعير أي ذلك حرث. . . إلخ[(٤)].

وفي الكامل: في أحداث سنة ١٣هـ: «وكان أبو عبيدة قد بعث بالأعور إلى طبرية يحاصرها، فصالحه أهلها على صلح دمشق أيضًا، وأن يشاطروا المسلمين المنازل، فنزلها القوّاد وخيولهم، وكتبوا بالفتح إلى عمر»[(٥)].

ولما أنجز المسلمون فتح (الأردن)، انصرف أبو عبيدة وخالد بن الوليد إلى (حمص)، وتوجّه عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة لإكمال فتح فلسطين، فاستخلفا على الأردن أبا الأعور[(٦)] حتى لا يؤتى المسلمون من الخلف أو من الجانب وحتى يكون الأردن قاعدة أمينة للمسلمين يندفعون منها لإكمال فتح

---

(١) الطبري: (٢/٥٩٣).
(٢) فِحْل: اسم موضع بأرض الشام في الأردن.
(٣) الطبري: (٢/٦٢٩).
(٤) الطبري: (٢/٦٣٠).
(٥) الكامل: (٢/٢٨١).
(٦) الكامل: (٢/٣٤٥).

أرض الشام؛ فسيطر أبو الأعور على الأردن سيطرة كاملة، فلم يلحق جيوش المسلمين من جهته أيُ ضرر.

ويكفي أبو الأعور السلمي شرفًا قيادته لجيش الشام في غزوة (عمورية) فقد ذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه عن الليث بن سعد، قال: ثم كانت غزوة (عمورية) سنة ثلاث وعشرين، وأمير جيش مصر وَهْب بن عُمَير الجمحي، وأمير جيش الشام أبو الأعور السلمي.

وروى أبو زرعة الدمشقي في تاريخه أنّ أبا الأعور غزا قبرص سنة ست وعشرين[1].

- **الإنسان:**

قال البرقي: كان أبو الأعور السلمي حليف أبي سفيان بن حرب. وأمه: قريبة بنت قيس بن عبدالله بن سعد بن سهم القرشية.

وقال محمد بن حبيب: كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الآفاق أن يبعثوا إليه من كل عمل رجلًا من صالحيها، فبعثوا إليه أربعة من البصرة والكوفة والشام ومصر، فاتفق أن الأربعة من بني سليم؛ وهم الحجاج بن علاط، وزيد بن الأخنث، ومجاشع بن مسعود، وأبو الأعور[2] وكان من أعيان الشام ورجال معاوية.

واستخلفه عمرو بن العاص وشرحبيل على الأردن في أحرج الظروف وهي أيام الفتح، كما كان على الأردن في أيام عثمان بن عفان[3] بعد أن جمع عثمان أرض الشام لمعاوية.

- **القائد:**

من الواضح أن أبا الأعور كان شجاعًا مقدامًا جريئًا، وكان إلى جانب ذلك ذا

---

(١) الإصابة: (٤/٥٣٠).
(٢) الإصابة: (٤/٥٣٠).
(٣) الطبري: (٣/٤٤٦).

عقلية راجحة وذكاء لماع وقابلية على إدارة الرجال.

هذه المزايا هي التي جعلته موضع ثقة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان، فكان عليه مدار الحرب، أيام فتح الشام وأيام الفتح البحري، كما كان عليه مدار الحرب في صفين[١].

وهذه المزايا هي التي جعلته موضع ثقة رجاله، وجعلت قراراته وخططه صحيحة صائبة، فلم يفشل في أية معركة خاضها قائدًا مسؤولًا أو قائدًا مرؤوسًا.

أنه كان شخصية قوية لها إرادة صلبة، وكان يقاتل بسلاحين: عقله وسيفه.

- **أبو الأعور في التاريخ:**

يذكر التاريخ لأبي الأعور جهاده المشرف في أرض الشام خاصة في معركة اليرموك وفي فتح طبرية وفي إدارة بلاد الأردن مدة طويلة تميزت بالهدوء والاطمئنان.

فهل تذكره اليوم (طبرية)، أم نسته في خضم مأساتها القاصمة التي تعيشها في ظل إسرائيل؟!

رضي اللَّه عن الصحابي الجليل، الإداري الحازم، القائد الفاتح، أبي الأعور السلمي[٢].

* * *

(١) أسد الغابة: (٤/٢٢٠).

(٢) قادة فتح الشام ومصر ص ١٧٢ - ١٧٣.

(٤٢٩) القائد الفاتح خال المسلمين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فاتح عرقة وقيسارية وعسقلان وقبرص، وهازم الروم في غزوة ذات الصواري

هو أمير المؤمنين، ملك الإسلام، وخال المسلمين، وكاتب وحي رب العالمين: أبو عبدالرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي المكي.

وأمه هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصّي.

قيل: إنه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء، وبقي يخاف من اللحاق بالنبي صلى الله عليه وسلم من أبيه، ولكن ما ظهر إسلامه إلا يوم الفتح(١). أسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة.

أسلم والده أبو سفيان وحسن إسلامه وفُقئت عينه يوم الطائف، والأخرى في معركة اليرموك، وأسلمت أمه هند وحسن إسلامها(٢).

كان رضي الله عنه وهو غلام يمشي مع أمه هند، فعثر، فقالت: قُمْ لا رفعك الله، وأعرابي ينظر، فقال: لم تقولين له؟ فوالله إني لأظنه سيسود قومه، قالت: لا رفعه إن لم يَسُد إلا قومه(٣).

ونظر أبو سفيان يومًا إلى معاوية وهو غلام، فقال لهند: إنّ ابني هذا لعظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه، فقالت هند: قومه فقط، ثكلته إن لم يسد العرب

(١) انظر طبقات ابن سعد (٣/٣٢، ٧/٤٠٦)، ونسب قريش: ١٢٤ وما بعدها، وطبقات خليفة ت (٥١، ٩٦٩ و٢٨٠٩)، وسير أعلام النبلاء (٣/١١٩)، والبداية والنهاية (٨/٢٠، ١١٧)، والاستيعاب (١٤١٦)، والإصابة (٦/١٢٠) ت (٨٠٨٧)، وأسد الغابة (٥/٢٠١)، ت(٤٩٨٤).

(٢) تاريخ ابن عساكر: (٥٩/٦٢).

(٣) تاريخ ابن عساكر: (٥٩/٦٥).

قاطبة[١].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنتُ ألعبُ مع الغلمان، فدعاني النبي ﷺ وقال: «**ادعُ لي معاوية**» وكان يكتب الوحي» رواه أحمد في «**مسنده**»[٢]. وزاد فيه الحاكم «**قال: فدعوتُه، فقيل: إنه يأكل. فأتيتُ، فقلتُ: يا رسول الله، هو يأكل. قال:** «**اذهب فادعه**» فأتيته الثانية، فقيل: إنه يأكل فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال في الثالثة: «**لا أشبع اللَّه بطنه**» قال: فما شبع بعدها»[٣].

وهذه فضيلة لمعاوية رضي الله عنه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**اللهم إنما أنا بشر، فأيُّما رجل من المسلمين سببتُه، أو لعنتُه، أو جَلَدْتُه، فاجعلها له زكاة ورحمه**»[٤].

وعن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني ـ وكان من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال في معاوية: «**اللهم اجعله هاديًا مَهْديًّا، واهده، واهد به. يعني معاوية**»[٥].

---

(١) تاريخ دمشق (٥٩/٦٦).
(٢) سنده قوي: أخرجه أحمد (١/٣٣٥)، (١/٢٤٠، ٣٣٨)، والحاكم في المستدرك.
(٣) الطيالسي في مسنده: (٢٧٤٦)، ومسلم (٢٦٠٤) في البر والصلة: باب من لعنه النبي ﷺ أو سبّه أو دعا عليه ليس هو أهلا لذلك، كان له زكاة وأجرًا ورحمة.
(٤) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (٢٦٠١)، وعائشة (٢٦٠٠)، جابر بن عبدالله (٢٦٠٢).
(٥) صحيح: أخرجه البخاري في «التاريخ» (٣٢٧/١/٤)، والترمذي (٣١٦/٢ ـ بولاق) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/٨١) وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وقال الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٦٩) : رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، فكان حقه أن يصحح، فلعل الترمذي اقتصر على تحسينه لأن سعيد بن عبد العزيز كان قد اختلط قبل موته، كما قال أبو مسهر وابن معين، لكن الظاهر أن هذا الحديث تلقاه عنه أبو مسهر قبل اختلاطه وإلا لم يروه عنه لو سمعه في حال اختلاطه لا سيما وقد قال أبو حاتم: « كان مسهر يقدم سعيد بن عبد العزيز على الأوزاعي» قلت: أفتراه يقدمه على الإمام الأوزاعي وهو يروي عنه في اختلاطه؟!. وقد تابعه جمع: مروان بن محمد الدمشقي، والوليد بن مسلم، وعمر بن عبد الواحد، ومحمد بن سليمان الحراني... وبالجملة فالحديث صحيح، وهذه الطرق تزيده قوة على قوة.

وعن عبدالرحمن بن أبي عُميرة المزني[(١)] أن النبي ﷺ قال لمعاوية: «**اللهم علِّمه الكتاب، والحساب، وَقِهِ العذاب**»[(٢)].

وهاجر معاوية إلى المدينة وآخى النبي ﷺ بينه وبين الحتات بن يزيد المجاشعي[(٣)]، وكان زيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان ملازمين للكتابة بين يدي رسول الله ﷺ في الوحي وغير ذلك، لا عمل لهما غير ذلك[(٤)].

- **جهاده:** شهد معاوية مع النبي ﷺ المشاهد التي بعد فتح مكة ومنها يوم «**حُنين**» و«**الطائف**».

وفي سنة ١٣ هـ اجتمع إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ناس فأرسلهم مع معاوية بن أبي سفيان، وأمره باللحاق بأخيه يزيد، فلما مرّ بخالد فصل عنه بباقي أصحابه[(٥)]

وفي سنة ١٥ هـ فُتحت قيسارية، وقيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين وكان سببها أن عمر بن الخطاب كتب إلى يزيد بن أبي سفيان أن يُرسل معاوية إلى قيسارية، وكتب عمر إلى معاوية يأمره بذلك: «أما بعد فإني قد وليّتك قيسارية فَسِرْ إليها، واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا نعم المولى ونعم النصير»[(٦)]، فسار معاوية إليها فحصر أهلها، فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردهم إلى حصنهم، ثم زاحفوه آخر ذلك مستميتين وبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفا وكملها في هزيمتهم مائة ألف وفتحها»[(٧)].

---

(١) جزم بصحبته ابن سعد والبخاري، وأبو حاتم، وابن السكن ، وابن حبان، وعبد الصمد بن سعيد في «الصحابة»، وأبو الحسن بن سميع والحافظ بن حجر في الإصابة . انظر السلسلة الصحيحة (٦١٧/٤).

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وما يقال عن الحديث السابق له يقال عن هذا الحديث.

(٣) سيرة ابن هشام (٢٢٣/٤).

(٤) جوامع السيرة لابن حزم (٢٦ - ٢٧)، والسيرة الحلبية (٣٦٤/٣).

(٥) الكامل: (٢٥٥/٢).

(٦) ، (٧) الطبري، والكامل: (٣٤٤/٢).

قال البلاذري (١٤٧، ١٤٨): «وكانت قيسارية قد حاصرها المسلمون نحوًا من سبع سنين وفتحها معاوية قسرًا، فوجد بها من المرتزقة سبعمائة ألف، ومن السامرة ثلاثين ألفا، ومن اليهود مائتي ألف، ووجد بها ثلاثمائة سوق قائمة كلها، وكان يحرسها في كل ليلة على سورها مائة ألف.

وكان سبب فتحها أن يهوديا يُقال له يوسف أتى المسلمين ليلًا فدلّهم على طريق في سرب فيه الماء إلى حقو الرجل على أن أمنّوه وأهله، وأنفذ معاوية ذلك، ودخلها المسلمون في الليل، وكبّروا فيها، فأراد الروم أن يهربوا من السِّرْب، فوجدوا المسلمين عليه، وفتح المسلمون الباب، فدخل معاوية ومن معه، وكان بها خلق من العرب.

ولما بلغ عمر فتحها نادى أن قيسارية فُتحت قسرًا وكبّر وكبّر المسلمون. اهـ.

وشهد معاوية تحت راية أخيه يزيد بن أبي سفيان معركة «**اليرموك**» وفتح «**بُصرى**» وفتح «**دمشق**»، وكان على مقدمة يزيد عند فتح «**صَيْدَاء**» و(**عِرْقَة**) و(**جُبيل**) و(**بيروت**)[1].

وتولى معاوية نفسه فتح «**عِرْقَة**»[2] في ولاية أخيه يزيد[3].

وبعد موت يزيد في طاعون عمواس، ولىّ عمر بن الخطاب معاوية مكان أخيه.

وكتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى معاوية يأمره بتتبّع ما بقى من فلسطين، ففتح عسقلان صلحًا بعد كيد. ويُقال: إن عمرو بن العاص كان فتحها، ثم نقض أهلها وأمدّهم الروم ففتحها معاوية وأسكنها الروابط ووكل بها الحفظة[4].

وفي آخر خلافة عمر أوْ أوّل خلافة عثمان بن عفّان غلب الروم على بعض

---

(١) البلاذري: ص ١٣٣.

(٢) عِرْقَة: بلدة في شرقي طرابلس الشام بينهما أربعة فراسخ.

(٣) البلاذري: ص ١٣٣.

(٤) البلاذري: ص ١٤٨.

السواحل، فقصد لهم معاوية حتى فتحها، ثم رمّها، وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع[١].

فلما استخلف عثمان وولى معاوية الشام وجمعها له وجّه معاوية سفيان بن مجيب الأزدي إلى طرابلس[٢] ففتحها كما ذكرنا فيما سبق.

- **غزو معاوية الروم:**

وفي سنة ٢٥ الهجرية غزا معاوية الروم فبلغ عَمُّورية فوجد الحصون التي بين أنطاكية وطرسوس خالية، فجعل عندها جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته. هذا في أيام عثمان.

لله در معاوية من مجاهد يغزو الروم في عقر دارهم، فيغزو مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة أو فاختة ابنة قرظة[٣]، ويؤثر على معنويات الروم أسوأ تأثير، فقد أصبحت عاصمتهم مهدّدة بالغزو، ثم عاد بعد عام فغزا «**حصن المرأة**» من أرض الروم بناحية «**ملطية**»[٤] سنة ثلاث وثلاثين كما قال ابن الأثير في «**الكامل**».

وأغزى بعد ذلك يزيد بن الحر العبسي الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك، ولما خرج هدم الحصون إلى أنطاكية[٥].

- **معاوية الفاتح لقبرص (قبرس):**

وذلك في سنة ثمان وعشرين وقيل سنة تسع وعشرين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين.

كان معاوية قد ألحّ على عمر في غزو البحر وقرب الروم من حمص، وقال: إن

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٣.
(٢) البلاذري: ١٢٣.
(٣) تاريخ الطبري: (٣/ ٣٥٠).
(٤) ملطية: بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام.
(٥) الكامل: ٢/ ٤٨٠، ٣/ ٣٠.

قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم[١]، حتى كاد يأخذ بقلب عمر، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص «صف لي البحر وراكبه، فإن نفسي تنازعني إليه»، فكتب إليه عمرو بن العاص: «إني رأيت خلقًا كبيرًا يركبه خْلق صغير، وليس إلا السماء والماء إِنْ ركد خرق القلوب، وإن تحرَّك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلّة، والشك كثرة هم فيه كدود على عود، إِنْ مال غرق، وإن نجا برق. فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية «والذي بعث محمدا ﷺ بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا، . . فكيف أحمل بالجنود على هذا الكافر[٢] المستصعب! وبالله لمسلم واحد أحبّ إليّ مما حوت الروم، وإياك أن تعرض إليّ وقد تقدّمت إليك، فقد علمتَ ما لقي العلاء مني، ولم أتقدّم إليه بمثل ذلك[٣].

فلما ولى عثمان بن عفان كتب إليه معاوية يستأذنه في غزو البحر مرارا فكتب إليه أن قد شهدت ما ردّ عليك عمر حين استأمرته في غزو البحر، فلما دخلت سنة سبع وعشرين كتب إليه يهوِّن عليه ركوب البحر إلى قبرص فأجابه بآخرة إلى ذلك وقال له: إن ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذونًا لك وإلا فلا، وقال له: لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم خَيِّرهم، فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعينه ففعل وركب المسلمون بحر الروم، في غزوة قبرص الأولى، ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها، ركب معاوية البحر من عكا ومعه مراكب كثيرة، وحمل امرأته فاختة بنت قرطة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف بن قصيّ، وحمل عبادة بن الصامت امرأته أم حرام بنت ملحان الأنصارية، وغزا مع معاوية أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، وأبو الدرداء، وأبو ذر الغفاري وواثلة الأسقع الكناني، وعبدالله بن بشر المازني، وشداد بن أوس بن ثابت، وهو ابن أخي حسان بن ثابت، والمقداد،

---

(١) هي ليست قبرص ولكنها جزيرة أرواد.
(٢) كفر: أي غطّى، وهذا لأن البحر يغطي ويخفي ما تحته.
(٣) الكامل: (٢/٤٨٨).

وكعب الحبر بن مانع، وجبير بن نفير الحضرمي.

سار معاوية من الشام إلى قبرص، وسار إليها عبدالله بن سعد من مصر، فبعث إليهم أركونها يطلب الصلح وقد أذعن أهلها به فصالحهم على سبعة آلاف ومائتي دينار يؤدونها في كل عام، وصالحهم الروم على مثل ذلك، فهم يؤدون خراجينْ واشترطوا أن لا يمنعهم المسلمون أداء الصلح إلى الروم، واشترط عليهم المسلمون أن لا يقاتلوا عنهم من أرادهم من ورائهم، وأن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوّهم من الروم، فكان المسلمون إذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم ولم ينصرهم أهل قبرص ولم ينصروا عليهم.

وكانت هذه هي غزوة قبرص الأولى. وفي هذه الغزاة ماتت أم حرام بنت ملحان الأنصارية ألقتها بغلتها بجزيرة قبرص فاندقَّتْ عنقها فماتت تصديقًا للنبي ﷺ حيث أخبرها أنها في أول من يغزو البحر إذ نام النبي ﷺ في بيتها فاستيقظ وهو يضحك وقال: عُرض عليّ ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر كالملوك على الأسِرَّة. قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال: إنك منهم. ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقلتُ: يا رسول الله ما يضحكك؟

فقال: عُرض عليّ ناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسِرَّة. قلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**أنت من الأولين**»[1].

قال جبير بن نفير: لما فُتحت قبرس ونهب منها السبي نظرتُ إلى أبي الدرداء يبكي، فقلت: ما يُبكيك في يوم أعزّ الله فيه الإسلام وأهله، وأذلّ فيه الكفر وأهله؟ قال: فضرب منكبي بيده وقال: ثكلتك أمك يا جُبير، ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره، بينما هي أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم المُلْك إذْ تركوا أمر الله فصاروا

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده (٤٢٣١٦) وقد سبق تخريجه.

إلى ما ترى فسلّط عليهم السباء، وإذا سلطّ السباء على قوم فليس له فيهم حاجة(١).

فلما كان سنة اثنتين وثلاثين أعانوا الروم على الغزاة في البحر بمراكب أعطوهم إياها فغزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين في خمسمائة مركب ففتح قبرص عنْوة فقتل وسبى، ثم أقرّهم على صلحهم وبعث إليها باثني عشر ألفًا كلهم أهل ديوان فبنوا بها المساجد ونقل إليها جماعة من بعلبك وبنى بها مدينة وأقاموا يعطون الأعطية إلى أن توفي معاوية(٢).

- **معاوية والمسلمون يقهرون الروم في غزوة «ذات الصواري» سنة إحدى وثلاثين الهجرية**

وقيل: كانت سنة أربع وثلاثين.

وكان على المسلمين معاوية. أما سبب هذه الغزوة فإنّ المسلمين لما أصابوا من أهل إفريقية وقتلوهم وسبوْهم خرج قسطنطين بن هرقل في جمع له تجمع الروم مثله مُذ كان الإسلام فخرجوا في خمسمائة مركب أو ستمائة، وخرج المسلمون وعلى أهل الشام معاوية بن أبي سفيان، وعلى البحر عبدالله بن مسعد بن أبي سرح، وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم فأرسى المسلمون والروم وسكنت الريح، فقال المسلمون: الأمان بيننا وبينكم فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرأون القرآن ويُصلون ويدعون، والروم يضربون بالنواقيس، وقرّبوا من الغد سفنهم، وقرّب المسلمون سفنهم، فربطوا بعضها مع بعض، واقتتلوا بالسيوف والخناجر، وقُتِل من المسلمين بشر كثير، وقُتِل من الروم ما لا يُحصَى، وصبروا يومئذ صبرًا لم يصبروا في موطن قط مثله، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم قسطنطين جريحًا، ولم ينج من الروم إلا الشريد، وسار قسطنطين في مركبه إلى

(١) الكامل: (٢/٤٨٨ ـ ٤٩٠).
(٢) البلاذري: ص ١٥٧ ـ ١٥٨.

صقلية[١] فسأله أهلها عن حاله فأخبرهم فقالوا: أهلكت النصرانية وأفنيْت رجالها لو أتانا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم، ثم أدخلوه الحمام وقتلوه، وتركوا من كان معه في المركب، وأذنوا لهم في المسير إلى القسطنطينية[٢].

- **لله در معاوية من فاتح شرقًا وغربًا وشمالًا:**

توقّف الفتح الإسلامي في أواخر أيام عثمان بن عفان وفي أيام الفتنة الكبرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية، فأصبحت البلاد الإسلامية مهدّدة بالغزو من الروم.

ولما ولي معاوية الخلافة، أستأنف الفتح في أيامه، فسارت رايات الفاتحين شرقًا وغربًا: شرقًا أعيد فتح (سِجستْان) وفتحت (كابل)، كما اجتازت رايات المسلمين نهر (جيَحُون)، ففتحت (بُخارى) و(سَمرَقْند) و(تِرْمِذ)[٣] وغربًا افتتح عُقبة بن نافع شمالي (إفريقية) واختط مدينة (القِيْرَوَان) وسكن المسلمون إفريقية وأسلم البربر وكانوا نصارى، وفشا الإسلام إلى أن اتّصل ببلاد السودان وبالمحيط الأطلسي.

وفي الشمال حاصر المسلمون القسطنطينية، وهناك مات أبو أيوب الأنصاري صاحب رَحْل رسول الله ﷺ، وقبره هناك محفوظ مشهور إلى اليوم.

وفتح المسلمون في عهده جزيرة «**أرواد**» قرب القسطنطينية سنة ٥٤هـ وأقاموا بها سبع سنين[٤].

وسلوا المجاهدين عن مشتاهم والصائفة في أرض الروم يعلم الناس أي رجل كان معاوية.

---

(١) جزيرة من جزر البحر الأبيض مقابل تونس (إفريقية).
(٢) الكامل: ٣/١٣ - ١٤.
(٣) جوامع السيرة لابن حزم ص ٣٤٨ - ٣٤٩.
(٤) الكامل: (٣/٣٤٤).

لقد فُتحت كل هذه البلاد الشاسعة في أيام خلافته، وذلك لأن العالم الإسلامي كان يعيش في استقرار نسبي لا تشوبه إلا ثورات الخوارج بين حين وآخر، وهكذا فإن الوحدة قوة والتفرقة خراب.

لقد مهّد معاوية بهذه الفتوحات للمسلمين من بعده، وأن يفتحوا الأندلس غربًا والهند شرقًا وتركستان كلها شمالًا، وبذلك أسدى للفتح الإسلامي أعظم الخدمات.

- **الإنسان:**

ذكرنا دعاء النبي ﷺ لمعاوية ﵁، وكيف أنه كان كاتبه وموضع ثقة النبي ﷺ.

وكان موضع ثقة أبي بكر الصديق أيضًا إذْ ولّاه جيشًا من جيوش المسلمين وبعثه إلى أرض الشام مددًا لأخيه يزيد.

وكان موضع ثقة الفاروق إذ ولّاه مكان أخيه يزيد بعد موته، وكان موضع ثقة ذي النورين عثمان من بعده إذْ أقرّه على الشام جميعه.

لقد كان معاوية رجل دولة يحرص على الضبط والنظام، وقد عمل على تطوير الحكم فنظّم الشرطة وجعل عليها مسؤولًا يدير شؤونها ويسهر على أمر قيامها بواجباتها، وكان له كاتب خاص وحرس خاص وحجّاب خاصون، وكان له قضاة يقضون بين الناس، وكان أول من اتخذ ديوان الخاتم وحزم الكتب ولم تكن تحزم من قبل[1]، وأول من وضع البريد.

وكان من دهاة العرب المشهورين، بل كان داهية العرب رأيًا وحزمًا ولسانًا، وكان له حلم ودهاء وجود بالمال، قال يومًا: «لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما

(١) الطبري: (٤/٣٤٣ - ٢٤٤).

انقطعت»؛ فقيل: وكيف يا أمير المؤمنين؟! قال: «إذا مدّوها خليّتها، وإذا خلوّها مددتها». وكان إذا بلغه عن رجل ما يكره قطع لسانه بالعطاء.

ومن دهائه، أن عمر لما دخل الشام ورأى معاوية قال: «هذا كسرى العرب»، وكان قد تلقاه معاوية في موكب عظيم، فلما دنا منه قال: «أنت صاحب الموكب العظيم؟!» قال: «نعم يا أمير المؤمنين!» قال: «مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك!»، قال: «مع ما يبلغك من ذلك!»، قال: «ولم تفعل هذا؟!»، قال: «نحن بأرضٍ، جواسيسُ العدو بها كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به، فأن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت»، فقال عمر: «ما سألتك عن شيء إلاّ تركتني في مثل رواجب الضرس! إن كان قلتَ حقًّا إنه لرأي أريب، وإن كان باطلًا إنه لخدعة أديب!»، قال: «فمرني يا أمير المؤمنين»، فقال عمر: «لا آمرك ولا أنهاك!»، فقال عمرو ابن العاص: «ما أحسن ما صدَر الفتى عما أوردته فيه!» فقال عمر: «لحسن مصادره وموارده جشّمناه ما جشّمناه!».

وذُم معاوية عند عمر يومًا، فقال: «دعونا من ذم فتى قريش: من يضحك في الغضب ولا ينُال ما عنده إلا على الرضا، ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه[1].

وكان يضرب بحلمه المثل: كان الرجل يقول لمعاوية: «والله لتستقيمن بنا يا معاوية أو لنقوّمنك!»، فيقول: «**بماذا؟**»، فيقول: بالخشب!!، فيقول: «**إذن نستقيم!**»، وقال قبيصة بن جابر: «**صحبت معاوية، فما رأيت رجلًا أثقل حلمًا ولا أبطأ جهلًا ولا أبعد أناة منه**»[2].

ودخل شاب من قريش على معاوية فأغلظ عليه، فقال له: «يا ابن أخي! أنهاك عن السلطان. إن السلطان يغضب غضب الصبي ويأخذ أخذ الأسد». قال زياد بن

---

(١) الاستيعاب (١٤١٧/٣ - ١٤١٨).

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٠، وشذرات الذهب (٦٥/١).

أبي سفيان: «استعملت رجلًا فكثر خراجه فخشي أن أعاقبه ففرّ إلى معاوية، فكتبت إليه: إن هذا أدب سوء لمن قِبلي، فكتب إليّ: إنه ليس ينبغي لي ولا لك أن نسوس الناس بسياسة واحدة: أن نلين جميعًا فتمرح الناس في المعصية، ولا أن نشد جميعًا فنحمل الناس على المهالك؛ ولكن تكون للشدة والفظاظة، وأكون للين والرأفة»(١).

وقال معاوية: «إني لأرفع نفسي من أن يكون ذنب أعظم من عفوي، وجهل أكبر من حلمي، وعورة لا أواريها بستري، وإساءة أكثر من إحساني». وقال لعبدالرحمن بن الحكم: «يا ابن أخي، إنك قد لهجت بالشعر، فإياك والتشبب بالنساء فتُعِر الشريفة؛ والهجاء، فَتُعْر كريمًا وتستثير لئيمًا؛ والمدح، فإنه طعمة الوقاح؛ ولكن افخر بمفاخر قومك وقل من الأمثال ما تزيّن به نفسك وتؤدّب به غيرك». وسئل معاوية أي الناس أحب إليك؟ قال: «أشدهم لي تحبيبًا إلى الناس». وقال: «العقل والحلم والعلم أفضل ما أعطي العباد، فإذا ذُكّر ذكر، وإذا أُعطي شكر، وغذا ابتلي صبر، وإذا غضب كظم، وإذا قدر غفر، وإذا أساء استغفر، وإذا وعد أنجز». واغلظ لمعاوية رجل فأكثر، فقيل له: أتحلم عن هذا؟! فقال: «إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا»(٢).

والحق أنه كان حليمًا حازمًا داهية عالمًا بسياسة الملك، وكان حلمه قاهرًا لغضبه وجوده غالبًا على منعه، يصل ولا يقطع؛ لذلك قال عنه عمر بن الخطاب: «تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية؟!»(٣).

وكان عبدالله بن العباس يقول عنه: «ما رأيت أحدًا أخلق للملك من معاوية: إن كان يرد الناس منه على أرجاء وادٍ رحب»(٤). . .وقال ابن عمر: «ما رأيت

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١٣٥.

(٢) تاريخ الطبري: (٤/٢٤٩).

(٣) تاريخ الطبري: (٤/٢٤٤).

(٤) الطبري: (٤/٢٤٩).

أحدًا بعد رسول اللَّه ﷺ أسود[١] من معاوية»، فقيل له: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي؟؟!! فقال: «**كانوا واللَّه خيرًا من معاوية وأفضل، ومعاوية أسود**»[٢].

وكان ابن العباس يقول عنه: «**إنه فقيه**»؛ إذ أوتر معاوية بعد العشاء بركعة وعنده مولى لابن عباس، فأتى ابن عباس وأخبره بذلك فقال: «دعه فإنه قد صحب رسول اللَّه ﷺ». وقيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، فإنه ما أوتر إلا بواحدة، فقال: «**إنه فقيه**»[٣]، وقد روى عن النبي ﷺ مائة حديث وثلاثة وستين حديثًا[٤] كما كان معدودًا من أصحاب الفتيا من الصحابة[٥].

وعلى الرغم من فضله ومزاياه الرفيعة، فقد نازع علي بن أبي طالب الخلافة، فلم يبايع عليًا ثم حاربه واستقل بالشام، ثم أضاف لها مصر ثم تسمى بالخلافة بعد الحَكَمينْ، ثم استقل بالملك لما صالح الحسن بن علي، فسمي ذلك العام: عام الجماعة[٦]، إذ لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمان علي من علي كما قال الإمام أحمد بن حنبل[٧]؛ فكان من آثار الفتنة الداخلية التي حدثت بين المسلمين إراقة كثير من دماء المسلمين وتوقف الفتح الإسلامي وطمع أعداء الإسلام بالمسلمين، فزحف قيصر الروم في جموع كثيرة وخلق عظيم على بلاد الشام، فخاف معاوية أن يشغله ذلك عما يحتاج إلى تدبيره وإحكامه، فوجّه إليه فصالحه على مائة ألف دينار، فكان معاوية أول من صالح الروم؛ فلما استقام الأمر له أغزى أمراء الشام على الصوائف، فسبوا في بلاد الروم سنة بعد سنة، فطلب صاحب الروم الصلح

---

(١) أسود: من السيادة، أي فيه سمات السيادة والمُلْك.

(٢) أسد الغابة: (٥/٢٠٢).

(٣) فتح الباري: (٧/٨١)، والإصابة (٦/١٢١).

(٤) أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد (لابن حزم ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص ٢٧٧ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (١٣٠)

(٥) أصحاب الفتيا من الصحابة لابن حزم - ملحق بجوامع السيرة ص ٣٢٠ .

(٦) الإصابة: (٦/١٢٠).

(٧) تاريخ الخلفاء للسيوطي.

على أن يضعف المال فلم يجبه معاوية إلى طلبه[١].

«دخل معاوية على عمر بن الخطاب وعليه حُلّة خضراء، فنظر إليه الصحابة، فلما رأى ذلك عمر قام ومعه الدُّرة، فجعل ضربًا بمعاوية، ومعاوية يقول: اللَّه اللَّه يا أمير المؤمنين! فِيمَ! فِيمَ! فلم يكلّمه حتى رجع فجلس في مجلسه؛ فقالوا له: لم ضربت الفتى، وما في قومك مثله؟ فقال: ما رأيتُ إلاّ خيرا، وما بلغني إلّا خير؛ ولكني رأيته ـ وأشار بيده ـ يعني إلى فوق فأردت أن أضع منه[٢].

أمضى معاوية رضي الله عنه أول ملوك العرب بعد الإسلام في الشام عشرين سنة أميرًا وعشرين سنة خليفة[٣].

لقد أدركت خلافة معاوية جماعة من أصحاب رسول اللَّه ﷺ ولم ينزعوا يدًا من طاعة ولا فارقوا جماعة، وكان زيد بن ثابت يأخذ العطاء من معاوية[٤].

ووفد عليه المسوّر بن مخرمة، فلما دخل عليه قال له معاوية: «**ما فعل طعنك على الأئمة يا مسوّر؟**»؛ فقال: «**دعنا من هذا وأحْسِن فيما قَدِمنا له**». قال: «**واللَّه لتكلمن بذات نفسك**»، فلم يدع المسوّر شيئًا يعيبه عليه إلّا بيّنه له. فقال معاوية: «لا أتبرأ من الذنوب، فما لك يا مسوّر ذنوب تخاف أن تهلك إن لم يغفر اللَّه لك؟!»، فقال المسوّر: «**بلى**»؛ فقال معاوية: «فما جعلك أحق أن ترجو المغفرة مني؟ فواللَّه لما آلي الإصلاح بين الناس وإقامة الحدود والجهاد في سبيل اللَّه والأمور العظام التي لست أحصيها ولا تحصيها أكثر مما تلي، وإني لعلى دين يُقبل فيه العمل، ويُجزى فيه بالحسنات، ويُجزى فيه بالذنوب إلّا أن يعفو اللَّه عنها. قال: فخصمني.

---

(١) تاريخ اليعقوبي لليعقوبي (١٩٣/٢).

(٢) الإصابة: (١٢٢/٦).

(٣) الاستيعاب: (١٤١٨/٣).

(٤) الاستيعاب: (١٤٢٠/٣).

قال عروة بن الزبير: فلم أسمع المِسْوَر ذكر معاوية إلا صَلّى عليه»[١].

وفي رواية «يقبل اللّه فيه الحسنات، ويعفو عن السيئات. واللّه لعَلى ذلك ما كنت لأُخيّر بين اللّه وبين ما سواه إلّا اخترتُ اللّه على ما سواه.

وفي رواية قال معاوية: فما يجعلك أحقّ أن ترجو المغفرة مني؟ فواللّه لما ألي من الإصلاح أكثر مما تلي، ولكني واللّه لا أُخَيَّرُ بين أمرين بين اللّه وبين غيره إلا اخترت اللّه على ما سواه، وأنا على دين يقبل اللّه فيه العمل، ويجزي فيه بالحسنات، ويجزي فيه بالذنوب، إلا أن يعفو عمن شاء، فأنا أحتسب كل حسنة عملتها بأضعافها، وأوازي أمورًا عظامًا لا أُحصيها ولا تحصيها من عمل اللّه في إقامة صلوات المسلمين، والجهاد في سبيل الله، والحكم بما أنزل الله، والأمور التي ليست تحصيها، وإن عددتها لك، فتفكّر في ذلك.

قال المسور: فعرفتُ أن معاوية قد خصمني حين ذكر لي ما ذكر.

قال عروة: فكم يُسمع بعد ذلك يذكر معاوية إلا صلى عليه.

وفي تاريخ بغداد: إلا استغفر له[٢].

ولم يجلد عمر بن عبدالعزيز سوطًا في خلافته إلا رجلًا شتم معاوية عنده، فجلده ثلاثة أسواط.

ومرّ عبدالملك بن مروان بقبر معاوية، فوقف عليه وترحّم، فقال رجل: قبر من هذا؟ فقال: «قبر رجل كان واللّه فيما علمته ينطق عن علم ويسكت عن فهم. إذا أعطى أغنى، وإذا حارب أفنى، ثم عجّل له الدهر ما أخّره لغيره ممن بعده. هذا قبر أبي عبدالرحمن بن معاوية»[٣].

---

(١) رجاله ثقات: انظر سير أعلام النبلاء: (١٥١/٣)، وتاريخ الإسلام (٨٠/٣)، وتاريخ بغداد ٢٠٨/١، والبداية والنهاية (١٣٣/٨).

(٢) تاريخ بغداد: (٢٠٨/١)، وتاريخ دمشق (١٦٢/٥٩).

(٣) الاستيعاب (١٤٢١/٣ - ١٤٢٢).

قال الذهبي ـ رحمه الله ـ: «خلف معاوية خلق كثير يحبّونه ويتغالوْن فيه ويُفضّلونه، إمّا قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء، وإمّا قد وُلِدوا في الشام على حبِّه، وتربَّى أولادهم على ذلك، وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة، وعدد كثير من التابعين والفضلاء، وحاربوا معه أهل العراق، ونشؤوا على النَّصْب(١)، نعوذ باللَّه من الهوى. كما قد نشأ جيش عليّ رضي الله عنه إلا الخوارج منهم ـ على حبّه والقيام معه، وبُغض من بَغَى عليه والتبري منهم، وغلا خلق منهم في التشيّع. فباللَّه كيف يكون حال من نشأ في إقليم، ولا يكاد يُشاهد فيه إلّا غاليا في الحب، مُفرطا في البغض، ومن أين يقع له الإنصاف والاعتدال؟.

فنحمد اللَّه على العافية الذي أوجدنا في زمان قد انمحص فيه الحق، واتضح من الطرفين وعرفنا مآخذ كل واحد من الطائفتين، وتبصرنا، فعذرنا، واستغفرنا، وأحببنا باقتصار، وتَرحَّمنا على البغاة بتأويل سائغ في الجملة، أو بخطأ إن شاء اللَّه مغفور، وقلنا كما علّمنا اللَّه ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠]، وتَرضَّيْنا أيضًا عمن اعتزل الفريقيْن، كسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وسعيد بن زيد، وخلْق، وتبرأنا من الخوارج المارقين الذين حاربوا عليا، وكفّروا الفريقين فالخوارج كلاب النار، قد مرقوا من الدين، ومع هذا فلا نقطع لهم بخلود النار، كما نقطع به لعبدة الأصنام والصلبان»(٢).

وقال الذهبي أيضًا عن معاوية: «حسبُك بمن يؤمِّره عمر ثم عثمان على إقليم ـ وهو ثغر فيضبطه، ويقوم به أتم قيام، ويرضى الناس بسخائه وحلمه وإن كان بعضهم تألّم مرّة منه، وكذلك فليكن الملك، وإن كان غيره من أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم خيرًا منه بكثير وأفضل وأصلح، فهذا الرجل ساد، وساس العالم بكمال

(١) الناصبي: هو الذي يبغض عليا.

(٢) سير أعلام النبلاء: (١٢٨/٣).

عقله، وفرط حلمه، وسعة نفسه، وقوة دهائه، ورأيه، وله هنات وأمور، والله الموعد.

وكان مُحببا إلى رعيته. عمل نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يَهِجْهُ أحد من دولته، بل دانت له الأمم، وحكم على العرب والعجم، وكان ملكه على الحرمين، مصر، والشام، والعراق، وخراسان، وفارس، والجزيرة، واليمن، والمغرب، وغير ذلك»[(١)].

سأل رجل الحسن البصري عن علي ومعاوية، فقال: كان لهذا قرابة، ولهذا قرابة، ولهذا سابقة وليس لهذا سابقة، وابتُليا جميعا.

قال الذهبي: «قلتُ: قتل بين الفريقين نحو من ستين ألفا. وقيل: سبعون ألفا، وقُتل عمار مع علي، وتبيّن للناس قول رسول الله ﷺ: «**تقتله الفئة الباغية**» ا هـ.

وهذا الحديث حديث صحيح مشهور بل متواتر، ولمّا لم يقدر معاوية رضي الله عنه على إنكاره، قال: إنما قتله الذين جاؤوا به، كما في «**المسند**» (٢/ ١٦١) بسند صحيح، فأجابه عليّ رضي الله عنه بأن رسول الله إذَنْ قتل حمزة حين أخرجه، وهذا منه رضي الله عنه إلزامٌ مُفحم لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها.

وعلي رضي الله عنه أفضل من معاوية ـ وأحق بالخلافة منه لسابقته في الإسلام وفضله الذي لا يجاريه ولا يدانيه فيه معاوية رضي الله عنه اجتهد عليٌّ فأصاب فله أجران، واجتهد معاوية فأخطأ فله أجر واحد، وقد قال ﷺ عن الخوارج «**تقاتلهم الفئة الأقرب إلى الحق**» فعُلِم بهذا أن عليًّا رضي الله عنه كان أقرب إلى الحق من معاوية.

وما ذهب إليه الذهبي من كون طائفة معاوية هي الباغية أي الخارجة على الإمام هو مذهب فقهاء الحجاز والعراق من فريقيْ الحديث والرأي، منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي، وغيرهم كما قال الإمام عبدالقاهر الجرجاني في

---

(١) المصدر السابق: (٣/١٣٢ ـ ١٣٣).

كتاب «**الإمامة**» نقله عنه المناوي في «**فيض القدير**» ٦/ ٦٦٣. وقال الإمام أحمد: «لم يكن أحد أحقّ بالخلافة في زمان عليّ من عليّ ﷺ، ورحم اللَّه معاوية»[(١)].

- **معاوية أفضل أم عمر بن عبدالعزيز؟:**

سُئل الإمام أحمد بن حنبل: أيّما أفضل، معاوية أو عمر بن عبدالعزيز؟ فقال: «**لغبار لحِق بأنف جواد معاوية بين يديْ رسول اللَّه ﷺ خيرٌ من عمر بن عبدالعزيز**»[(٢)].

وسُئل ابن المبارك عن معاوية فقيل له: ما تقول فيه؟ قال: ما أقول في رجل قال رسول اللَّه ﷺ: «**سمع اللَّه لمن حمده**»، فقال معاوية من خلفه: ربنا ولك الحمد، فقيل له: ما تقول في معاوية؟ هو عندك أفضل أم عمر بن عبدالعزيز؟ فقال: لترابُ في منخريّ معاوية مع رسول اللَّه خيرٌ أو أفضل من عمر بن عبدالعزيز»[(٣)]. وفي البداية والنهاية: خير وأفضل.

وسُئِل ياقوتة العلم والعباد المعافى بن عمران: أيما أفضل معاوية بن أبي سفيان أو عمر بن عبدالعزيز؟ فكأنه غضب، وقال: يوم من معاوية أفضل من عمر بن عبدالعزيز ثم التفت إلى الرجل فقال: تجعل رجلًا من أصحاب محمد ﷺ مثل رجل من التابعين؟!»[(٤)].

وسأل رجل المعافى بن عمران، فقال: لا يُقاس بأصحاب رسول اللَّه ﷺ أحد، معاوية صاحبه، وصهره وكاتبه، وأمينه على وحي اللَّه ﷻ»[(٥)].

وسُئل الفضل بن عنبسة: معاوية أفضل أم عمر بن عبدالعزيز؟ فعجب من

---

(١) تاريخ دمشق: (١٣٨/٥٩).
(٢) شذرات الذهب: (٦٥/١).
(٣) تاريخ دمشق: (٢٠٧/٥٩ - ٢٠٨).
(٤) تاريخ دمشق: (٢٠٨/٥٩).
(٥) تاريخ بغداد: (٢٠٩/١، ٢١٠)، وتاريخ دمشق (٢٠٨/٥٩)، والبداية والنهاية: (١٤٨/٨).

ذلك، وقال: سبحان الله، أأجعل من رأى رسول اللّه ﷺ كمن لم يره؟! قالها ثلاثا [(١)].

وقال أبو إسحاق السبيعي: كان معاوية وكان ما رأينا مثله، وما استثنى أبو إسحاق عمر بن عبدالعزيز.

وقال ابن المبارك: معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إلى معاوية شَزْرًا، اتهمناه على القوم، أغني على أصحاب محمد ﷺ[(٢)].

وقال الربيع بن نافع: معاوية بن أبي سفيان ستر أصحاب النبي ﷺفإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه [(٣)]

وقال أحمد بن حنبل: «إذا رأيت رجلا يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتّهمه على الإسلام [(٤)]».

وقال معاوية بن أبي سفيان: إني لست بخيركم، وإنّ فيكم مَن هو خير مني، عبداللّه بن عمر، وعبداللّه بن عمرو، وغيرهما الأفاضل، ولكني عسيت أن أكون أنكاكم في عدوّكم، وأنفعكم لكم ولاية وأحسنُكم خُلقا [(٥)].

وعن قتادة قال: لما انتهى كتاب الحكم بن عمرو إلى زياد كتب بذلك إلى معاوية، وجعل كتاب الحكم في جوف كتابه، فلما قدم الكتاب على معاوية خرج إلى الناس، فأخبرهم بكتاب زياد، وصنيع الحكم، فقال: ما ترون؟ فقال بعضهم: أرى أن تصلبه، وقال بعضهم: أرى أن تقطع يديه ورجليه، وقال بعضهم: أرى أن تغرمه المال الذي أعطى، فقال معاوية: بئس الوزراء أنتم، أتأمروني أن أعمد إلى

---

(١) تاريخ دمشق: (٢٠٨/٥٩).

(٢) البداية والنهاية: (١٤٨/٨)، وتاريخ دمشق: (٢٠٩/٥٩).

(٣) تاريخ بغداد: (٢٠٩/١)، وتاريخ دمشق: (٢٠٩/٥٩).

(٤) تاريخ دمشق: (٢٠٩/٥٩).

(٥) تاريخ دمشق: (١٦٢/٥٩ - ١٦٣)، وسير أعلام النبلاء (١٥٠/٣).

رجل آثر كتاب اللّٰه تعالى على كتابي، وسنة رسول اللّٰه ﷺ على سُنتي فأقطع يديه ورجليه!!، بل أحسن، وأجمل، وأصاب فكانت هذه مما تُعدُّ من مناقب معاوية[١].

وقال مجاهد: لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي[٢].

قال ابن عون: كان الرجل يقول لمعاوية: واللّٰه لتستقيمن يا معاوية أو لنقوّمنّك، فيقول لهم: بماذا؟ فيقولون: بالخُشُب[٣] فيقول لهم: إذًا نستقيم[٤].

وقال عبداللّٰه بن الزبير - رضي اللّٰه عنهما - عن معاوية: «لله درّ ابن هند، أما واللّٰه إن كنا نتخدّعه فيخادع لنا، وما ابن ليلة بأدهى منه، لله در ابن هند، أما واللّٰه إن كنا لنفرّقه[٥] فيتفارق لنا، وما الليث الحَرِب[٦] بأجرأ منه. كان واللّٰه كما قالت بنت رقيقة:

أَلَا أبكيه أَلَا أبكيه أَلَا كلُّ الفتى فيه[٧]

وقال ابن عباس: قد علمتُ بما كان معاوية يغلب الناس، كانوا إذا طاروا وقع، وإذا وقعوا طار[٨].

ولما جاء قَتْل عليّ إلى معاوية جعل يبكي ويسترجع، فقالت له امرأته: تبكي عليه وقد كنت تقاتله؟ فقال لها: ويحك، إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل، والفقه والعلم[٩].

---

(١) تاريخ دمشق: (١٧٠/٥٩).
(٢) البداية والنهاية: (١٤٣/٨)، وتاريخ دمشق: (١٧٢/٥٩).
(٣) الخشب: هي السيوف المصقولة.
(٤) تاريخ دمشق: (١٨٤/٥٩).
(٥) نفرّقه: أي نخوّفه. مِنَ الفَرَق وهو الخوف.
(٦) الحَرِب: الشديد الغضب.
(٧) تاريخ دمشق: (١٨٥/٥٩ - ١٨٦).
(٨) تاريخ دمشق (١٨٧/٥٩)، والبداية والنهاية: (١٤٥/٨)، وسير أعلام النبلاء (١٥٤/٣)، وأنساب الأشراف: (٩٣/٥).
(٩) البداية والنهاية: (١٣٩/٨)، وتاريخ دمشق: (١٤٢/٥٩).

وقال علي بن أبي طالب: لا تكرهوا إمْرَة معاوية، فلو قد فقدتموه لرأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها[١].

وجاء رجل إلى أبي زرعة الرازي فقال له: يا أبا زرعة أنا أبغض معاوية، قال: لِمَ؟ قال: لأنه قاتل علي بن أبي طالب، فقال له أبو زرعة: إن رب معاوية رب رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فأيش دخولك أنت بينهما رضي الله عنهم أجمعين[٢].

وسأل رجل الإمام أحمد عما جرى بين علي ومعاوية، فأعرض عنه، فقيل له: يا أبا عبدالله، هو رجل من بني هاشم، فأقبل عليه فقال: اقرأ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾[٣] [البقرة: ١٣٤]

- **معاوية قائدا**

قال معاوية: «أُعِنتُ على عليٍّ بثلاث: كان رجلا ربما أظهر سره وكنت كتومًا لسرِّي؛ وكان في أخبث جندٍ وأشدّه خلافًا عليه، وكنت أطوع جند وأقله خلافًا عليَّ؛ ولما ظفر بأصحاب الجمل لم أشك أن بعض جنده سيعدّ ذلك وهنًا في دينه، ولو ظفروا به كان وهنًا في شوكته؛ ومع هذا فكنت أحبّ إلى قريش منه، لأني كنت أعطيهم ويمنعهم، فكم سبب من قاطع إلي ونافر عنه»[٤].

هذا الكلام يعطي فكرة واضحة عن بعض سمات قيادة معاوية، فقد كان كتومًا لا يبيح بنواياه لأحد، فيبقى خصمه في جهل مطبق لنواياه.

إن كشف نوايا الخصم من أهم عوامل إعداد الخطط المناسبة لإحباطها، لذلك

---

(١) السير: (١٤٤/٣)، وأنساب الأشراف: (٢/٤)، والبداية والنهاية: (١٣١/٨)، وتاريخ الإسلام: (٢/ ٣٢٠)، تندر: تقع.

(٢) تاريخ دمشق: (١٤١/٥٩).

(٣) البداية والنهاية: (١٣٩/٨)، وتاريخ دمشق: (١٤١/٥٩).

(٤) الاستيعاب: (١٤٢٢/٣).

نصت الكتب العسكرية على: «أن الكتمان من أهم عوامل المباغتة أهم مبادئ الحرب».

لقد كان معاوية إذًا، كتومًا، يؤمن بأن: الحرب خدعة، ويتّخذ كافة الوسائل التي تؤمن له التغلّب على عدوه، وكان محبوبًا من قومه، وكان ذكيًا يستشير رجاله ويبث عيونه وأرصاده ـ كل ذلك أدى إلى أن تكون خططه سليمة صائبة. وكان شجاعًا مقدامًا، أقدم على خوض معارك قاسية في البحار؛ وكان ذا إرادة قوية وشخصية نافذة.

وعند تطبيق أعماله العسكرية على مبادئ الحرب، نجد أنه (يختار مقصده ويديمه)، و(يتعرّض) بخصمه و(يباغته)، وللنجاح بالتعرض والمباغتة (يحشد قوته) ويحرص على (أمنها) و(يديم معنوياتها) ويؤمّن لها (أمورها الإدارية).

إنه كان قائدًا ممتازًا من كافة الوجوه.

- **معاوية في التاريخ:**

يجمع التاريخ على تقدير معاوية القائد.

فقد شهد أكثر معارك فتح أرض الشام، وفتح بنفسه (عِرْقَة) و(قَيْسَارية) و(عَسْقَلان) و(قبرس)، وقاد غزوة (ذات الصواري) وغزوة مضيق (القسطنطينية).

وفُتح في أيامه أكثر شمالي (إفريقية) وأكثر بلاد السودان وفتحت (كابل) وبعض أراضي (السند) و(بخارى) و(سمرقند) و(ترمذ)، كما فتحت جزيرة (أرْوَاد)[1] و(رُودِس)[2] كما حوصرت القسطنطينية، وأديم زخم الهجوم على الروم بصورة خاصة صيفًا وشتاءً!!

---

(١) أرواد: جزيرة في البحر غزاها المسلمون وفتحوها سنة ٥٤ هـ. راجع التفاصيل في معجم البلدان (١/ ٢٠٧).

(٢) رودس: جزيرة للروم مقابل الإسكندرية على ليلة منها في البحر. راجع التفاصيل في معجم البلدان: (٤/ ٣٠).

تلك فتوحات عظيمة، تجعله ثاني الخلفاء فتحًا بعد عمر بن الخطاب من وجهة سعة المناطق المفتوحة برًّا، وأول الخلفاء فتحًا من وجهة سعة المناطق المفتوحة بحرًا.

فهل تشفع له هذه الفتوحات التي نشرت الإسلام في بلاد شاسعة شرقًا وغربًا وفي البر والبحر عند من يُنحي باللوم على سيرته إنسانًا، أم أن كل هذه الأعمال المجيدة غير كافية لتخفيف غلواء لومه ونقده عند هؤلاء[١]؟!.

واللَّه ما ينتقص معاوية أعدل ملوك المسلمين إلا صاحب بدعة.

قال أحمد بن حنبل: فُتحت قيسارية سنة تسع عشرة وأميرها معاوية[٢].

وقال يزيد بن عبيدة: غزا معاوية قبرص سنة خمس وعشرين[٣].

وقال خليفة بن خياط: وفيها ـ يعني ـ سنة اثنتين وثلاثين: غزا معاوية المضيق من القسطنطينية وفيها ـ يعني سنة ثلاث وثلاثين: غزا معاوية بن أبي سفيان مَلَطْية، وإفريقية، وغزا أيضًا حصن المرأة من أرض الروم[٤].

فرضي اللَّه عن الصحابي الجليل، الحليم الداهية، القائد الفاتح، خال المسلمين معاوية بن أبي سفيان الأموي.

ولما جاء الموت هذا العبد الصالح معاوية قال: «قد قيل: من أحب لقاء اللَّه أحبّ اللَّه لقاءه، اللهم إني أحببت لقاءك فأحبّ لقائي»[٥].

وقال لابنه يزيد موصيا له: «اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي، وقراضة من شعره وأظفاره، فاستودع القُراضة أنفي وأذني وعيني، واجعل الثوب يلي جلدي دون أكفاني، ويا يزيد احفظ وصية اللَّه في الوالدَيْن، فإذا

---

(١) انظر قادة فتح الشام ومصر: ص ١٨٩ ـ ١٩٤ باختصار.
(٢) تاريخ دمشق لأبي زرعة (١٧٩/١، ١٨٤/١) على التوالي، وسير أعلام النبلاء: (١٣٥/٣).
(٣) تاريخ دمشق لأبي زرعة (١٧٩/١، ١٨٤/١) على التوالي، وسير أعلام النبلاء: (١٣٥/٣).
(٤) تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٦٧.
(٥) تاريخ دمشق: (٢١٦/٥٩).

أدرجتموني في جريدتي ووضعتموني في حفرتي، فخلّوا معاوية وارحم الراحمين وقال رحمه اللَّه ورضي عنه عند الموت: اللهم أَقِل العثرة، واعف عن الزلّة، وعُدْ بحلمك على من لا يرجو غيرك فإنك واسع المغفرة، ليس من خطيئة مهرب إلا إليك، فما وراءك مذهب.

رضي اللَّه عن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان.

أودى ابن هند وأودى المجدُ يتبعه   كانا جميعًا فماتا قاطِنَين معا[1]

❊ ❊ ❊

(١) الكامل: (٣/٣٧١).

(٤٣٠) الصحابي القائد
قَبَاثُ[١] بن أَشْيَم الليثي رضي الله عنه
بطل عظيم من أبطال اليرموك، وقائد أحد الكراديس

هو الصحابي قَبَاث بن أَشْيَم بن عامر بن المُلَوَّح بن يَعمُر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث، من بني كنانة بن خزيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مضر، ثم من بني ليث بن بكر.

وأمه البرصاء بنت ربيعة بن ذي البردين من بني هلال[٢].

«شـهد بدرًا مع المشركين وكان له فيها ذكر، ثم أسلم بعد ذلك وشهد مع النبي ﷺ بعض المشاهد، وكان على مجنبتهِ أبي عبيدة يوم اليرموك[٣]، وبذا قال ابن الكلبي أيضًا وقال ابن عساكر: شهد اليرموك وكان أميرًا على كُرْدُوس وسكن حمص.

وقد نال قباث شرف الصحبة والجهاد تحت لواء الرسول ﷺ، فقد أسلم بعد الخندق، وشهد حنينا مع رسول اللَّه ﷺ.

سأل عثمان بن عفان[٤] قباث بن أشيم أخا بني يعمر بن ليث، فقال: أنت أكبر أم رسول اللَّه ﷺ فقال: رسول اللَّه أكبر مني وأنا أسنُّ منه»[٥] فلله دره ما أعظم أدبه مع الرسول ﷺ.

---

(١) قباث بضم القاف وبالباء الموحدة وآخره ثاء مثلثة، قاله ابن ماكولا، والصواب فتح القاف كما في أسد الغابة والإصابة.

(٢) انظر: «أسد الغابة» (٤/٣٥٩) ت(٤٢٥٦) والإصابة (٥/٣١٠) ت (٧٠٧١)، وتاريخ دمشق (٤٩/ ٢٢٣) ت (٥٦٩٦)، والاستيعاب ت (٢١٨٩).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: (٧/٤١١).

(٤) وفي رواية أخرى في تاريخ دمشق سأله عبدالملك بن مروان.

(٥) الإصابة: (٥/٣١٠).

- **إسلامه:**

قال قُباث بن أشيم الكناني: شهدت مع المشركين بدرا، وإني لأنظر إلى قلّة أصحاب محمد في عيني وكثرة من معنا من الخيل والرجال، فانهزمتُ فيمن انهزم فلقد رأيتني وإني لأنظر إلى المشركين في كل وجه، وإني لأقول في نفسي: ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النساء، وصاحبني رجل، فبينا هو يسير معي إذْ لحقنا مَنْ خلفنا، فقلتُ لصاحبي: أبك نهوض؟ قال: لا واللَّه ما هو بي قال: وعقر(١) فترفعت(٢) فلقد صبحت غيقة(٣) قبل الشمس، كنت هاديا بالطريق ولم أسلك المحاج، وخفت من الطلب فتنكبت عنها، فلقيني رجل من قومي بغيقةَ فقال: ما وراءك؟ قلت: لا شيء، قُتِلنا وأُسِرنا وانهزمنا فهل عندك من حملان؟ قال: فحملني على بعير، وزوّدني زادًا حتى لقيت الطريق بالجُحفة، ثم مضيت حتى دخلت مكة، وإني لأنظر إلى الحَيْسمان بن حابس الخزاعي بالغميم(٤) فعرفت أنه يقدم ينعي بمكة قريشا، فلو أردت أن أسبقه لسبقته، فنكّبت عنه حتى سبقني ببعض النهار، فقدمت وقد انتهى إلى مكة خبر قتلاهم، وهم يلعنون الخزاعي، ويقولون: ما جاءنا بخير، فمكثت بمكة، فلما كان بعد الخندق قلتُ: لو قدمتُ المدينة فنظرت ما يقول محمد، وقد وقع في قلبي الإسلام، فقدمت المدينة فسألت عن رسول اللَّه ﷺ فقالوا: هو ذاك في ظلّ المسجد مع ملأ من أصحابه، فأتيته، وأنا لا أعرفه من بينهم، فسلّمت، فقال: يا قُبَاث بن أشيم أنت القائل يوم بدر: ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النساء. فقلتُ: أشهد أنك رسول اللَّه وأن هذا الأمر ما خرج مني إلى أحد قط، وما تَرَمْرَمت به إلا شيئًا حدَّثت به نفسي، فلولا أنك نبي

---

(١) عُقِر: أي حبس بحيث أنه لم يستطع مواصلة السير.

(٢) ترفعت: من رفع البعير في السير إذا بالغ.

(٣) غيقة: موضع بساحل البحر يصب فيها وادي ينبع ورضوى.

(٤) الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

ما أطعلك اللَّه عليه، هلمّ حتى أبايعك، فعرض على الإسلام فأسلمت[(١)].

- **جهاده:**

أشار خالد بن الوليد على أبي عبيدة بن الجرّاح بتوليته قائدًا للميسرة في اليرموك، وقاتل قبّاث يومئذٍ قتالًا شديدا، وأخذ يقول:

إن تفقدوني تفقدُوا خير فارسٍ ... لدى الغَمَرَات والرئيس المُحامِيَا

وذَا فَخْرٍ لا يَمْلأ الهولُ قلبَه ... ضَروبًا بنصل السيف أروعَ ماضيا

وكسر في الروم ثلاثة رماح وقطع سيفين، وكان كُلما كسر رمحًا أو سيفًا يقول: من يُعير سيفًا أو رمحا ـ في سبيل اللَّه ـ رجلا قد حبس نفسه مع أولياء اللَّه وقد عاهد اللَّه لا يفرّ ولا يبرح، يقاتل المشركين حتى يظهر المسلمون أو يموت، فكان من أحسن الناس بلاءً في ذلك اليوم.

فلله دره من قائد بطل، صدق عند اللقاء،

ورضي اللَّه عنه من صحابي قبّاث بن أشيم الليثي.

* * *

(١) الطريق إلى دمشق: لأحمد عادل كمال ص ٣٤٣، ٤٨٤.